الدُّرُوسُ التّفسيريّةُ الدّائمةُ
للشَّيخ مُبَاركِ بن محمد الميلِيِّ
(ت: 1364 هـ/ 1945م)
ودَورُهَا الإصلاحِيُّ

إعداد

الدكتور مراد خنيش

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بقسم الكتاب والسنة
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

ورقة علمية مقدمة للمشاركة في فعاليات الملتقى الوطنيّ الموسوم بـ:

(اتّجاهات التّفسير في التّراث التّفسيريّ الجزائريّ - معالم ومقاصد -)
الذي سيُعقد يوم الاثنين 07 من شعبان 1444 هـ الموافق لـ 27 من فيفري 2023م
في رحاب كلّية أصول الدين
بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – الجزائر.

ملخّص البحث بالعربيّة:

يُعرّفُ هذا البحثُ بِدرُوسِ تفسير القرآن التي دَاوَمَ على إلقائها الشّيخُ مُباركٌ بنُ محمدٍ الميليّ، مع تلمُّسِ دورهَا الإصلاحيّ من خلال أخبارها المحفوظة، وهي درسَان: **أحدهما**: درسُهُ في الجامع العتيق بالأغواط، **والآخر**: درسُهُ في الجامع الكبير بميلة، وهما درسَان استغرق كلُّ واحدٍ منها نحو سبع سنوات، ومن الأخبار ما أفاد درسًا **ثالثًا محتملاً**، مع اختلافِهَا، واضطرابٍ فيها، وهو دُرسُهُ في الجامع الأخضر بقسنطينة بعد وفاة شيخه الإمام ابن باديس.

وقد أنتجَ البحثُ في الموضوع أنّ القدرَ المفَسَّرَ هو سُورة الأنعام، في درسي الأغواط وميلة، مع احتمال تفسيره لمواضع قُرآنية أخرى في البَلدَتَين، كما رصدَ جملةً من النّقاط التّعريفيّة والملامح المنهجيّة والقضايا المضمونيّة، مُؤَكّدًا أنّ الشّيخ مبارك شخصيّة علميّة مُتميّزة لها درايتها بالتّفسير والمعاني القرآنيّة، تستحقُّ الذّكر في طبقة أعلى من طبقات المفسّرين الجزائريّين وفي مرتبة أسمى من مراتب أعلام الجزائر.

الكلمات المفتاحية: مبارك الميلي، الدّائمة، الدّروس، الإصلاحيّ، التّفسيريّة.

البريد المهني: **m.kheniche@Univ-emir.dz**

البريد الإلكتروني: **mourad1425@gmail.com**

PERMANENT QURAN INTERPRETIVE LESSONS

BY CHEIKH MOUBARAK IBN MOUHAMMAD EL-MILI

(D: 1364 AH / 1945 AD)

AND ITS REFORMIST ROLE

Written by:

Dr: Mourad KHENICHE

Teacher of Interpretation & Quran sciences nearby Quran & Sunna Department
Emir Abdelkader University for Islamic Sciences Constantine

A scientific paper submitted to participate in the activities of the national forum entitled by:

(Interpretation trends in the Algerian interpretive heritage - landmarks and purposes-)
Which will be held on Monday 07 Chaaban 1444 AH corresponding to February 27th, 2023 AD
Within the Faculty of Religion Fundamentals

.Emir Abdelkader University of Islamic Sciences, Constantine, Algeria

ABSTRACT:

This research defines the lessons of the Quran interpretation of that CHEIKH MOUBARAK IBN MOUHAMMAD EL-MILI used to teach, while glimpsing its reformist role through its preserved news. It is two lessons: one of them: his lesson in the ancient mosque in Laghouat, and the other: his lesson in the Great Mosque of Mila, and they are two lessons, each one of which took about seven years, and from the news what included a possible third lesson, with its differences and disturbances in it, which is his lesson in the Green Mosque in Constantine after the death of his Cheikh, Imam Ibn Badis .

The research on the subject concluded that the interpreted part is Surat El-An'am, in the lesson of El-Aghouat and in the lesson of Mila, with the possibility of its interpretation of other Quranic verses in the two towns. It also monitored a number of defining points, methodological features, and substantive issues, stressing that CHEIKH MOUBARAK is a distinguished scholarly figure with his knowledge of Quranic interpretation and meanings, deserving of mention in a higher class than the Algerian interpreters and in a higher rank than the ranks of Algerian figures.

Keywords: MOUBARAK El-Mili, permanent, lessons, reformist, interpretation.

Professional mail: m.kheniche@Univ-emir.dz

Email: mourad1425@gmail.com

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على نبيّنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد:

فإنّ الشّيخ مبارك بن محمّد الميليّ واحدٌ من أعلام الجزائر، وأستاذٌ فذٌّ من الأكابر، برزَ في الأوساط العلميّة، وعُرِفَ في المشاهد الإصلاحيّة، في قلاع وبلدات، بل وفي قرى ومداشر وجهاتٍ، دَرَّسَ وَعَلَّمَ، وَفَقَّهَ وأفهَمَ، أَسَّسَ المِدَارسَ، واختار لها المُدارس، فكان لهُ في ذلكَ الجهد المعتَبَر، والصِّيتَ الذّائعَ فاشتَهَر.

لقد قام بدوه الإصلاحيّ، بعد عوته من الزّيتونة إلى وطنه، حيث استقرّ مدّة قصيرة في قسنطينة ثمّ قصد الأغواط مدرّسًا، ومنها إلى ميلة، فقسنطينة.

وكانت له جهودٌ معتبرة في تفسير كتاب الله العزيز في تلك البلدات الثلاث، خاصة في بلدتي الأغواط وميلة، وفي غيرها ممّا زارهُ ورحل إليه من المدن والنّواحي الجزائريّة.

فهو واحدٌ من علماء الجمعية المتميّزين، وأحدُ المشاركين في الاعتناء بالكتاب المبين، تفسيرًا وتفهيمًا، إسقاطًا لمعانيه الكلّية، علاجًا للأمراض الجلية والخفيّة، اعتنى بذلك خير اعتناء، في زمنٍ كثر فيه الأعداء، وانتشرت فيه أغاليط الدّهماء، فانطلق في إصلاح الظواهر الدّينيّة السّيئة، والأحوال الاجتماعيّة الرّديئة.

وليس لهذه الدّروس التّفسيريّة ديوان يجمعُهَا، ولا هي في سِفرٍ مَشهُورٍ يَحوِيهَا ، أو كتابات معروفةٍ تتقفّاها، وإنّما هي أخبارٌ ومعلوماتٌ مبثوثاتٌ في ثنايا مقالات، وفي جرائد جمعيّة العلماء وغيرها من المجلات، والكتابات المشابهات.

وقد اخترتُ أن يكون الحديث عن تلك الدّروس الثلاثة في المدن الثلاث تعريفًا وتوصيفًا، واستجلاءً لملامحها المنهجية ودورها الإصلاحيّ تحت عنوان: "**الدُّرُوسُ التّفسيريّةُ الدّائمةُ للشّيخ مُبَارِكٍ بن مُحَمَّد الميليّ ودَورُهَا الإصلاحِيُّ**".

وقد اعتمدتُّ في التّعريف بها- في الغَالِب الأعَمّ- تلك المقالات التّوصيفيّة لها في بعض جَرائد الجمعيّة وفي غيرها، كجريدة البصائر، وكذا جريدة النّجاح التي كان يرأسها مديرها الأستاذ عبد الحفيظ بن الهاشميّ، وبعض الكتابات حول الحركة العلمية والنّشاط الإصلاحيّ في الجزائر، ككتابات الأستاذ مُحَمَّد علي دبوز، وغيرها.

هذا وإنّ أهمية البحث في هذا الموضوع تكمنُ في تعلّقها بجهدٍ مغمورٍ للشّيخ مبارك بن مُحَمَّد الميليّ في التّفسير في المُدُن التي استقرّ فيها مُعلّمًا مدرّسًا مصلحًا.

أضفْ إلى ذلك أنّ المادّة التّفسيريّة لتلك الدّروس غير مُتَوفّرة، فيكونُ الاشتغالُ بأخبارها التّوصيفيّة لها – حينئذٍ– مسلكٌ يُقرّبُ مِن مادّتها، وطريقٌ لتَلَمُّسِ بعض مضامينها أو ملامحِهَا، من خلال ما عَلقَ بأذهَانِ ذَوِي الأقلام.

وكان الباعث على اختيار الموضوع جملة أسباب أهمّها ما يأتي:

- الحاجة إلى الكشف عن جهودٍ مغمورة للشيخ مبارك الميليّ في التّفسير، تمثّلت في تلك الدّروس الدّائمة الملقاة في مدينتي الأغواط وميلة، واستجلاء أثرها في الإصلاح الدينيّ.
- الحاجة إلى إثراء الجانب الشّفاهيّ في التّفسير عند أعلام جمعيّة العلماء، وحركة التّفسير في الجزائر عامّة.

وإلى جانبِ ما سَبَقَ فَلَا بُدَّ أن يَنطَلِقَ هذا البَحثُ مِن إشكاليّةٍ حَمَلَتْ على التّفكِير فيه، وذلك مُتَمَحوِرٌ حَولَ التّساؤُل عن جَدوَى الاشتغَالِ بتلك الدّروس التّفسيريّة التي داومَ على إلقائهَا الشّيخُ مُبارك الميليّ في التّفسير، وما يُفتَرضُ أن يكون خصيصة من خصائصها، أو جانبًا من جوانب تميّزها.

ويتعلّقُ بهذا التّسَاؤُل المحوريّ أسئلةٌ أُخرَى هي:

- ما طبيعة الدّروس التّفسيريّة الدّائمة للشّيخ مبارك الميليّ في الأغواط وميلة؟
- وما هو القدرُ الذي فَسَّرَهُ الشّيخُ مبارك من القرآن؟
- وهل وردَ في أخبارها ما يفيدُ ببعض ملامحها المنهجية؟
- وما مَدَى تَعلُّق تلك الدّروس بالإصلاح الدّينيّ والاجتماعيّ؟

من أجل ذلك جَاءَ البَحث هادفًا إلى:

- التّعريف بموضوعات تلك الدّروس ومضامينها من خلال الأخبار التّوصيفيّة لها في الجرائد والمجلّات وغيرها، وكذا إبرازُ الشيخ شخصيّةً تفسيريّة لها موقعها بين المفسّرين الجزائريّين من رجال الإصلاح الحديث وغيرهم.
- محاولة تلمّس الدّور الإصلاحيّ للدّرس التّفسيريّ الدّائم عند الشّيخ مبارك الميليّ خاصة في الأغواط وميلة؟

أمّا ما يَتعلّقُ بالدّراسات السّابقة في الموضوع، فإنّي لَمْ أَقِفْ على دراسةٍ مُتخَصّصةٍ عنِيَت بما عنيت به دراستي، إلاّ كلمات ونصوص مُتَنَاثرات في كتاب التاريخ الثّقافي في الجزائر، لأبو القاسم سعد الله، وكتاب نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، للأستاذ مُحَمّد علي دبوز، وأخبار توصيفيّة وعبارات في ثنايا مقالات مجلاّت الإصلاح.

ولأجل عرض مادّة البحث بما يحقّقُ مقاصِدَهُ ويُعِينُ على الإجابة عن إشكالاته، عرضًا مُتَمَاسِكًا، ونظامًا مُتَنَاسقًا استدعَى ذلكَ خُطّةً مُشتملةً على مقدّمة ومبحثين رئيسين وخاتمة.

أمّا المقدّمة فقد تناولت التّعريف بفكرة الموضوع وأهمّيته وأسباب اختياره وإشكاليته وأهدافه، والدّراسات السّابقة فيه، والخطّة التي سار عليها.

وأمّا المبحثُ الأوّلُ فقد عني بالتّعريف المُوجَز بالشّيخ مُبارك بن مُحَمَّد الميليّ، واستجلاء مكانته في العلم بالتفسير، وذلك من خلال مطلبين: أمّا المطلب الأول ففي التّعريفٌ الموجَز بالشيخ مبارك بن مُحَمَّد الميلي، وأمّا المطلب الثاني ففي استجلاء مكانته في العلم بالتّفسير.

وأمّا المبحث الثاني فقد عَرَّفَ بالدُّرُوس التّفسيريّة الدّائمة للشّيخ مبارك الميليّ ودورها الإصلاحيّ، وذلك من خلال ثلاثة مطالب: أمّا المطلب الأول ففي التّعريف بدرسه في المسجد العتيق بالأغواط ودوره الإصلاحيّ، وأمّا المطلب الثاني ففي التّعريف بدرسه في المسجد الكبير بميلة ودوره الإصلاحيّ، وأمّا المطلب الثالث ففي التّعريف بدرسه في الجامع الأخضر بقسنطينة ودوره الإصلاحيّ.

وأمّا الخاتمة فقد ضَمَّنتُهَا أهمَّ النّتائج المتوصَّل إليهَا، والتّوصيات البحثيّة.

هذا ما يَسَّرَ الله تعالى جمعه في هذه المرحلة، والبحثُ في بعض جوانب الموضوع لا يزالُ، والاشتغال به إثراءً وتنقيحًا أوكَدُ الأعمال.

والحمد لله ربّ العالمين

المبحث الأوّل: تعريفٌ مُوجَزٌ بالشَّيخُ مُبَارك بن محمد الميليّ واستجلاءُ مكانته في العلم بالتّفسير:

المطلبُ الأوّل: تعريفٌ موجزٌ بالشّيخ مُبَارك بن محمد الميليّ:

أوّلاً: اسمهُ ولقبهُ: هو مبارك بن مُحَمَّد الهلالي الميلي[1]، ويفيدُ ولدُهُ مُحَمَّد:"كان اللّقب المنصوص عليه في بطاقة التّعريف هو "ابراهيمي مبارك" بن مُحَمَّد"[2].

و(الهلالي) نسبة إلى هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية، وهو جَدُّ القبائل العربيّة التي نزحت إلى شمال إفريقية أواسط القرن الخامس الهجريّ.

يقول ولدُهُ مُحَمَّد: "وكان يحرص أنْ يدمج نَعتَ (الهلالي) في الاسم، لأنّه كان يعتزّ بهذه النّسبة، وقد سمعتُ مرّة أنّه يرجع نسبه إلى واحد من بني هلال يُقال:إنّه كان صحابيًّا.

لكن يبدو أنّ الشّيخ البشير الإبراهيميّ كان يشكّكُ في نسبه ذاك. استنتجتُ ذلك ممّا جاء في إحدى رسائل الشّيخ البشير إليه من آفلو، يقولُ فيها هذه العبارة التي علقت بالحافظة: (صحّح الله نسبَكَ). وكان الشّيخ الشّيخ العربيّ يداعبُهُ بأنّهُ ليس في ملامحه ما يدلّ على أنّه من بني هلال"[3].

و(الميلي) كما يضيف ولدهُ مُحَمَّد:" نسبة إلى الميليّة، مسقط رأسه، وليس نسبة إلى ميلة التي استقرّ فيها من 1933 إلى 1945[4].

---

[1]- حياة رجل الإرادة مبارك الميلي 1898- 1945م، بقلم أحمد بوزيد قصيبة، مقال منشور في جريدة البصائر(1/ 206)، (عدد 26) عدد خاصّ، السنة الثانية من السلسلة الثانية، (يوم الاثنين 26 ربيع الثاني 1367 هـ الموافق ليوم 08 مارس 1948م)، ص 02.

[2]- الشّيخ مبارك الميليّ حياته العلميّة ونضاله الوطنيّ، تأليف مُحَمَّد الميلي، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط1 (2001)،ص 98.

[3]- الشّيخ مبارك الميليّ حياته العلميّة ونضاله الوطنيّ، تأليف مُحَمَّد الميلي، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط1 (2001)،ص 98.

[4]- الشّيخ مبارك الميليّ حياته العلميّة ونضاله الوطنيّ، تأليف مُحَمَّد الميلي، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط1 (2001)،ص 98.

و(**الميليّة**) كما يقول الشّيخ مباركٌ نفسُهُ:" قريةٌ حدَثَت في العصر الفرنسيّ تقع شمال ميلة بنحو خمسين ميلاً عصريّا، وهي منسوبةٌ إلى ميلة لأنّ موضعَها كان ينزلُهُ فرسان بورنان بن عزّ الدّين من ناحية ميلة، فنسبت البقعة إليهم..." [1].

ثانيًا: ولادته:"ولد الشّيخ مبارك الميليّ تقريبا في "دوّار أولاد مبارك" من الميليّة، من أحواز قسنطينة في أسرة متوسطة تدعى "عائلة الحاج رابح" كانت لها سمعة، وكان لها أرض زراعية وشجر وزيتون وبعض المواشي، فنشأ بالبادية نشأة القوة ولصّلابة والحرّيّة"[2].

وتربّى في أحضان العمومة حتى صار يافعًا، ثمّ قذَفَهُ القدر إلى ميلة وظلّ يتنقّل في معهدها كما يتبلغ غالب الطّلاب المجاورين فيه"[3].

يُفيدُ ولدُ الشّيخ مُبارك الأستاذُ مُحَمَّد بتاريخ ولادة أبيه المختَلَف فيها: " يقول الأستاذُ علي مرّاد إنّ" الشّيخ مبارك بن مُحَمَّد الهلالي المسمّى بالميليّ، مولودٌ في 1897 بالميلية (بالقبائل الصغرى) وسط أسرة متواضعة".

لكن بطاقة التّعريف التي كان يحملها تنصّ على أنّه مولود في 23 ماي 1986، وهو فعلاً قد نشأ في أسرة متواضعة، وفي منطقة شديدة الفقر، كنتُ زرتُها في صيف 1938 كما ذكرتُ"[4].

وقال الأستاذ قصيبة: " ولد رحمه الله سنة 1898م تقريبًا..." [5].

ثالثًا: نشأته العلمية ورحلته إلى ميلة ثمّ إلى قسنطينة: دخل كتاب القرية فحفظ القرآن وأخذ بعض مبادئ الكتابة والقراءة عن مؤدّبه الشّيخ أحمد بن سي لخضر اليسري، وكان رحمه الله رَجُلًا طيّبًا ومؤدّبًا نَصُوحًا فَكَانَ ذَا أَثَرٍ في تَوجِيهِ الشّيخ مُبارك وتربيته.

وَلَمَّا بَلَغَ من العمر 14 سنة انتقل إلى ميلة فأُكرم بكفالة المحسن الكبير السّيد مصطفى ابو الصّوف من أعيان ميلة، فأخذهُ معه إلى منزله وأكرم مثواهُ وأدخله زاوية من زوايا التّعليم. وكان يُلازم دُرُوسَ المدرّسِ

---

[1]- هذا التعريف بالبلدة بحرفه هو للشّيخ مبارك الميلي نفسه. ينظر: البصائر(1/ 248)، (عدد 30)، السنة الأولى، (يوم الجمعة 12 جمادى الأولى 1355 الموافق ليوم 31 جوليت 1936)، ص 08.

[2]- حياة رجل الإرادة مبارك الميلي 1898- 1945م، بقلم أحمد بوزيد قصيبة، مقال منشور في جريدة البصائر(1/ 206)، (عدد 26) عدد خاصّ، السنة الثانية من السلسلة الثانية، (يوم الاثنين 26 ربيع الثاني 1367 هـ الموافق ليوم 08 مارس 1948م)، ص 02، وينظر: الشّيخ مبارك الميليّ حياته العلميّة ونضاله الوطنيّ، تأليف مُحَمَّد الميلي، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط1 (2001)،ص 98.

[3]- أطوار من حياة الشيخ مبارك، بقلم عبد الحفيظ الجنان، مقال منشور في جريدة البصائر(1/ 219)، (عدد 27)، السنة الثانية من السلسلة الثانية، (يوم الاثنين 04 جمادى الأولى عام 1367 هـ الموافق ليوم 15 مارس 1948م)، ص 07.

[4]- الشّيخ مبارك الميليّ حياته العلميّة ونضاله الوطنيّ، تأليف مُحَمَّد الميلي، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط1 (2001)،ص 97.

[5]- حياة رجل الإرادة مبارك الميلي 1898- 1945م، بقلم أحمد بوزيد قصيبة، مقال منشور في جريدة البصائر(1/ 206)، (عدد 26) عدد خاصّ، السنة الثانية من السلسلة الثانية، (يوم الاثنين 26 ربيع الثاني 1367 هـ الموافق ليوم 08 مارس 1948م)، ص 02.

بالجامعِ أُستاذِهُ الشّيخِ الميليّ رحمه الله، فَقَوَّى مَعلُوماته، وتخلّق بكثير من أخلاقِهِ الحميدة الفاضلة وسَجَايَاهُ العالية...[1].

وحسب الأستاذ الصّادق حماني فإنّ الشّيخ مُباركًا قبل التحاقه بدُرُوسِ شيخه مُحَمَّد الميليّ قد "شرع يحفظ القرآن على الطّريقة المألوفة، فأخذَت أَسرارُ العبقريّةِ تَتَجَلّى سَريعًا في قُوَّة حِفظِهِ النّادِرَة إذْ لم يَطُلْ بِهِ الأَوَانُ **حتّى أَتَمَّ حِفظَهُ وَنِصْفَ مَتنِ خَليلٍ**، فَهَرَعَ إلى مجالس دُرُوس الشّيخ مُحَمَّد الميليّ يَغشاها بهذا الحفظ الذي يُذكّرُ بحفظِ الإمام الشّافعيّ ﷺ لما هرع يغشى مجالس دُرُوس مالك بالمدينة، فلم يَتَوَانَ استعدادُهُ في مجالس تلك الدُّرُوس في أَنْ بَدَا مُعجَبًا فَتَبنَّاهُ شَيخُهُ الميليُّ رحمه الله وآوَاهُ..."[2].

ففي ميلة إذًا:"أخذ العلم على عالمها الشّيخ مُحَمَّد الميلي وأتقن الفقه والنّحو والتّوحيد، ولم تسترح نفسه لهذا القليل من العلم فاتّصل بأستاذنا عبد الحميد بن باديس بقسنطينة، وكان عبد الحميد يحنو على أهل العلم كما تحنو الأم الشّفوق على ولدها، فما وسع مبارك إلاّ أن يتمثّل أمام عظمة وجبروت عزمه، وصحّت نيّته على أن يصاحبه ويأخذ عنه روح البحث والتفكير الصحيح.

ثمّ أسعفه الحظّ ورحل إلى تونس فوجد فيها إمام المعلّمين الأستاذ النّخليّ القيروانيّ والمحقّق العالم الشّيخ مُحَمَّد بن القاضي والبحاثة اللّوذعي الشّيخ عثمان بن الخوجة والنّظار الثّبت الشّيخ مُحَمَّد بن يوسف والمفكّر الأصوليّ الشّيخ الأصوليّ بلحسن النّجّار، والحافظ المبدع الشّيخ مُحَمَّد الطّاهر بن عاشور.

فَحذق دروسهم النّيرة وأصبح مبارك ممّن يُشار إليهم بالبنان في الوسط التّونسيّ، وما زالت تلك الأسئلة الغريبة ترنّ في الآذان التي كان دماغ مبارك يغلي بها وما زال معاصروهُ من شيوخ وشبّان يذكرونها..." [3].

رابعًا: عودتُه إلى قسنطينة ثمّ انتقالُهُ إلى الأغواط:

يقول الأستاذ عبد الحفيظ الجنان:"وبعد تحصيله على شهادة التّطويع رجع إلى قسنطينة حاملاً معه مُسَوَّدَةَ قانُون أسَاسيّ لِيَحُثّ الطّلاّب وأهل العلم على إنشاء مطبعة كبرى تطبع المخطوطات وتنشر الجرائد والمجلاّت لتحيي أمّته حياة عمليّة لا نظريّة.

ووجد أستاذهُ عبد الحميد قد بعث بقلمه صيحَةً مدوّيّةً في أرجاء الوطن داعية إلى الخلاص من ربقة الشّرك والتّحرّر من أغلال العبودية، فأصدر جريدة المنتقد، ثمّ أخرج بعدها الشّهاب، الأسبوعيّ، وظلّ كذلك

---

[1]- ينظر: حياة رجل الإرادة مبارك الميلي 1898- 1945م، بقلم أحمد بوزيد قصيبة- بتصرّف يسير – مقال منشور في جريدة البصائر(1/ 206)، (عدد 26) عدد خاصّ، السنة الثانية من السلسلة الثانية، (يوم الاثنين 26 ربيع الثاني 1367 هـ الموافق ليوم 08 مارس 1948م)، ص 02.

[2]- مظاهر العبقرية في الشيخ مبارك، بقلم الصادق حماني، مقال منشور في جريدة البصائر(1/ 214)، (عدد 27)، السنة الثانية من السلسلة الثانية، (يوم الاثنين 04 جمادى الأولى عام 1367 هـ الموافق ليوم 15 مارس 1948م)، ص 02.

[3]- ينظر: أطوار من حياة الشيخ مبارك، بقلم عبد الحفيظ الجنان، مقال منشور في جريدة البصائر(1/ 219)، (عدد 27)، السنة الثانية من السلسلة الثانية، (يوم الاثنين 04 جمادى الأولى عام 1367 هـ الموافق ليوم 15 مارس 1948م)، ص 07.

يكافحُ وحدهُ إلى أن رفع مبارك قلمه وانضوى تحت لواء أستاذه بالأمس وصاحبه في الحال، وقال له ها أنا ذا، فكان الفتى المقدام والمناصر الهمام: فكم تغنّى بالقريض في أيام شبابه وكم تغنّى بالنّقد النّزيه في كلتا الصّحيفتين بإمضاء (البيضاويّ) وكم تعرّض لبحوث هامّة بأسلوب كتابيّ رصين تجدُ فيه الفكاهة والذّوق السّليم..."[1].

ويضيفُ الأستاذ الجنان قائلاً:"...ثمّ انقطع مبارك الميلي للتأليف فبلغ غاية السّبق فيه ولم يدرس من علوم اللّغات الأجنبيّة شيئًا، وعلى الرّغم من ذلك فإنّه عالج السياسة زمنًا في جريدة المنتقد، وله فصول جمّة بعناوين مختلفة منها (الجمهورية ضمن الملكية) و(العقل الجزائريّ) في خطر) وغيرها من المقالات الممتعة، وأصدر الجزء الأول من تاريخ الجزائر ثمّ الثاني ولم يكمل الثالث، وألّف أيضًا رسالة (الشرك ومظاهرهُ) التي يتدارسها اليوم المستشرقون في جامعتي الجزائر وتونس، فكفاهُ فخرًا وكفى عارفيه فخرا بهاته المنزلة السامية التي يبلغ شأوها القليل ممّن تصدّروا للتّأليف"[2].

يقول الشّيخ حمزة بوكوشة في ميزات الشّيخ الميليّ:" كان الأستاذ مبارك الميلي رحمه الله يمتاز من بين علماء الجزائر ومفكريها – زيادة على ما وهبه الله من العلم والحزم- بعدم مجاراته للدهماء من الناس فيما أجمعوا عليه بل وحتى الخواص منهم، فيما لم تستيقنه نفسه..."[3].

يقول الصّادق حمّاني: " كانت ميلة يوم شَخَصَ إليها مباركٌ مرتعًا مريعًا لتحفيظ القرآن الكريم وصَارَ معلومًا الآن أنّ شُخُوصَهُ إليها إنّما كان قصد التّأدّب والتعليم والقراءة، فحلّ بها صفرَ اليَدَين فلم تكن آلام العَوَزِ لِتُثنِيَهُ عمّا مِن أجلِهِ حَلَّ لما غرز فيه من قوّة الاحتمال كما أنّ مرائر اليُتم والإيواءات إلى أعتاب الناس – طلبًا للبلغة – لم تكن بالموهنة أو بالطّابعة نفسه على الصّغار لما جبل عليه من علوّ الهمّة.

شرع يحفظ القرآن على الطريقة المألوفة فأخذت أسرار العبقرية تتجلّى سريعًا في قوّة حفظه النّادرة إذْ لم يطلْ به الأوان حتّى أتمّ حفظهُ ونصف متن خليل، فهرع إلى مجالس دروس الشيخ مُحَمَّد الميلي يغشاها بهذا الحفظ الذي يذكّر بحفظ الإمام الشّافعيّ ﷺ لما هرع يغشى مجالس دروس مالك بالمدينة، فلم يتوانَ استعداده في مجالس تلك الدروس في أن بدا معجبًا فتبنّاهُ شيخه الميليّ رحمه الله وآواهُ..."[4].

---

[1]– أطوار من حياة الشيخ مبارك، بقلم عبد الحفيظ الجنان، مقال منشور في جريدة البصائر(1/ 219)، (عدد 27)، السنة الثانية من السلسلة الثانية، (يوم الاثنين 04 جمادى الأولى عام 1367 هـ الموافق ليوم 15 مارس 1948م)، ص 07.

[2]– أطوار من حياة الشيخ مبارك، بقلم عبد الحفيظ الجنان، مقال منشور في جريدة البصائر(1/ 219)، (عدد 27)، السنة الثانية من السلسلة الثانية، (يوم الاثنين 04 جمادى الأولى عام 1367 هـ الموافق ليوم 15 مارس 1948م)، ص 07.

[3]– الأستاذ الميلي والرّأي العام، بقلم حمزة بوكوشة، مقال منشور في جريدة البصائر(1/ 223)، (عدد 28)، السنة الثانية من السلسلة الثانية، (يوم الاثنين 11 جمادى الأولى عام 1367 هـ الموافق ليوم 22 مارس 1948م)، ص 03.

[4]– مظاهر العبقرية في الشيخ مبارك، بقلم الصادق حماني، مقال منشور في جريدة البصائر(1/ 214)، (عدد 27)، السنة الثانية من السلسلة الثانية، (يوم الاثنين 04 جمادى الأولى عام 1367 هـ الموافق ليوم 15 مارس 1948م)، ص 02.

خامسًا: أشهر شيوخه: وقد تتلمذ الشّيخ مبارك الميليّ لجلّة من المشايخ والعلوم، أبرزهم:

- **شيوخهُ في ميلة وقسنطينة:** وأشهرهم:

1- الشّيخ مُحَمَّد بن معنصر الميلي (ت: 1347 هـ). وهو شيخه الأوّل بميلة، حيثُ أخذ عنه مبادئ العلوم الشّرعية والعربيّة.

2- شيخه الإمام عبد الحميد بن باديس: حيثُ جلس إليه وانتفع بدروسه انتفاعًا عظيمًا.

- **شيوخُ في الزّيتونة بتونس:** وقد ذكر الأستاذ عبد الحفيظ الجنان كوكبة منهم[1]:

1- إمام المعلمين الأستاذ النّخليّ القيروانيّ.

2- المحقّق العالم الشيخ مُحَمَّد بن القاضي.

3- البحاثة اللّوذعي الشّيخ عثمان بن الخوجة.

4- النّظار الثّبت الشّيخ مُحَمَّد بن يوسف.

5- المفكّر الأصوليّ الشّيخ الأصُوليّ بلحسن النّجّار.

6- الحافظ المبدع الشّيخ مُحَمَّد الطّاهر بن عاشور.

سادسًا: أشهر تلاميذه: تتلمذ للشّيخ مبارك الميلي جلّة من التّلاميذ، لعلّ أبرزهم من كان يكتبُ عنه، فيوفي التعريف بدوره الإصلاحيّ في أعداد من جريدة البصائر (في سلسلتها الثانية) بمناسبة ذكرى وفاته رحمه الله، فمنهم:

1- الشّيخ أحمد الشّطّة (ت: 1958 م).

2- الشّيخ أبو بكر الحاج عيسى الأغواطيّ (ت: 1987 م).

3- الأستاذ أحمد بن بوزيد قُصيبة (ت: 1994م).

4- الأستاذ أحمد الغوانميّ الأغواطيّ.

5- ابنُهُ الأستاذ مُحَمَّد بن مبارك الميلي.

سابعًا: مؤلّفاتُهُ: رغم نشاط الشّيخ الكبير، وشهرته الواسعة، وألمعيّته المشهورة، إلاّ أنّه لم يترك تآليف كثيرة، كان أهمّها:

1- رسالة الشّرك ومظاهرهُ، وهو مطبوع عدّة مرّات.

2- تاريخ الجزائر في القديم والحديث، وهو مطبوع عدّة مرّات.

3- مقالات وكلمات وأبحاث في مجلّات الجمعيّة (البصائر، المنتقد، الشّهاب، الصراط السّويّ...).

---

[1] - ينظر: أطوار من حياة الشيخ مبارك، بقلم عبد الحفيظ الجنان، مقال منشور في جريدة البصائر(1/ 219)، (عدد 27)، السنة الثانية من السلسلة الثانية، (يوم الاثنين 04 جمادى الأولى عام 1367 هـ الموافق ليوم 15 مارس 1948م)، ص 07.

ثامنًا: وفاته: "مات الأستاذ مبارك رحمه الله يوم الخميس 26 صفر 1364 هـ، واحتشد لجنازته آلاف من الخلائق، ورثاهُ رئيس جمعية العلماء الأستاذ الشّيخ البشير الإبراهيميّ وزميله الأستاذ مُحَمَّد العربي التبسيّ وغيرهما من أعضاء الجمعية في حفل حافل، بعدما أدَّى رسالتَهُ التّعليميّةَ والتَّأليفيَّةَ وضَحَّى في سبيل إعلائها تضحيّات عظيمة جسيمة"[1].

[1] – أطوار من حياة الشيخ مبارك، بقلم عبد الحفيظ الجنان، مقال منشور في جريدة البصائر(1/ 219)، (عدد 27)، السنة الثانية من السلسلة الثانية، (يوم الاثنين 04 جمادى الأولى عام 1367 هـ الموافق ليوم 15 مارس 1948م)، ص 07.

المطلب الثاني: استجلاءُ مكانته في العلم بالتّفسير:

لم أجدْ إلى الآن – في حدود اطّلاعي – من اعتنى بإبراز الشّيخ مُبارك الميليّ شخصيّةً لها درايتُها بالتّفسير وتفهيم المعاني القرآنيّة، ليُستدلّ بذلك على مكانته، إلاّ إشارات لذلك، أو عبارات تُفهَمُ منها معرفته بالتّفسير إلى جانب معرفته بالعلوم الأخرى.

ولأجل بيان ذلك فقد انتقيتُ من أقاويل وعبارات العُلماء والمترجمين والدّارسِينَ ما يمكنُ أن يكون **مُفيدًا شاهدًا بمكانته في التّفسير**– ولو على جهة الاستنباط والاستلزام– وذلك فيما يلي:

1– قال الشّيخُ أبو يعلى الزّواويّ وهُو يتحدّثُ عن مقالةٍ للشّيخ الميليّ حول الغفارة: "توقّف صديقنا **العلاّمة المؤرّخ ابنُ تيمية عصره** محاربُ الإشراك والبدع **الأستاذُ الشّيخُ مبارك الميليّ**... "[1].

2– وقال الشّيخ مُحَمَّد البشير الإبراهيميّ:"... وفَقَدَتهُ المحافلُ الإصلاحيّةُ، فَفقَدَت منه عالما بالسّلفيّة الحَقَّة عاملًا بها، **صَحِيحَ الإدراكِ لِفقهِ الكتاب والسُّنّة، واسِعَ الاطّلاع على النُّصُوص والفُهُوم**، دَقيقَ الفَهم لها، والتّمييز بينها والتّطبيق لكلّياتها"[2].

3– قال الشّيخ مُحَمَّد البشير الإبراهيميّ في مقاله الافتتاحيّ عن الشّيخ مبارك الميليّ وقد شرح أسباب تكوينه ونبوغه: " يشهدُ كُلُّ مَن عَرَفَ مُبَارَكًا وذاكَرَهُ أو نَاظَرَهُ أو سَأَلَهُ في شيءٍ ممّا يتذاكر فيه النّاس أو يتناظرون أو يَسأَلُ فيه جاهلُهُ عَالِمَهُ أو جَاذَبَهُ الحديثَ في أحوال الأمم ووقائع التّاريخ وعوارض الاجتماع – **أنّهُ يخاطِبُ منه عالمًا أيّ عالم**. وأنّه يُناظرُ منه فحلَ عراك وجذل حكاك. **وأنّه يُسَاجِلُ منه بحرًا لا تُخاضُ لُجّتُهُ وحَبرًا لا تُدحضُ حُجّتُهُ**. وأنّه يَرجعُ منه إلى عقل مَتينٍ ورأيٍ رَصِينٍ ودليلٍ لا يضلّ ومنطق لا يختلّ، وقريحة خصبة وذهن صيود وطبع مشبوب وألمعيّة كشّافة. هكذا عَرفنَا مُبارَكًا وهكذا شَهدنَا. وهكذا عَرَفَهُ مَن يُوثقُ بمعرفتهم ويُرتَاحُ إلى إنصافهم ويُطمَأنّ إلى شهادتهم..."[3].

---

[1]– معنى (الغفارة) في لسان القبائل الصّنهاجيّة) لأبي يعلى الزواوي، مقال منشور في جريدة البصائر(1/ 355)، (عدد 44)، السنة الأولى، (يوم الجمعة 05 رمضان 1355 الموافق ليوم 20 نفامبر 1936)، ص 07.

[2]– مبارك الميليّ، لمحمد البشير الإبراهيميّ، مقال منشور في جريدة البصائر(1/ 205)، (عدد 26) عدد خاصّ، السنة الثانية من السلسلة الثانية، (يوم الاثنين 26 ربيع الثاني 1367 هـ الموافق ليوم 08 مارس 1948م)، ص 01.

[3]– مبارك الميليّ، لمحمد البشير الإبراهيميّ، مقال منشور في جريدة البصائر(1/ 206)، (عدد 26) عدد خاصّ، السنة الثانية من السلسلة الثانية، (يوم الاثنين 26 ربيع الثاني 1367 هـ الموافق ليوم 08 مارس 1948م)، ص، 02.

4- ويُواصل الشّيخُ الإبراهيميُّ مُتحدّثًا عن أسباب تكوين الميليّ ونُبُوغه فيقولُ:"...هذه هي الأسباب التي كوّنت لنا من مبارك الميلي **عالمًا مستكمل الأدوات يملأُ معناهُ لفظُهُ...**" [1].

5- يقول الأستاذ أحمد بوزيد بوقصيبة عن كثرة دروسه اللّيلية في المسجد بالأغواط:"... **ولذلك كان يميلُ إلى دُرُوس التّفسير** لأنّهُ أعلقُ بالنُّفُوس ولا سيما تفسير السُّور المكّيّة والمسائل الاعتقاديّة فيها على الأخصّ كسُورَة الأنعام وغيرها..." [2].

6- وقال الأستاذ مقيدش - أحد تلاميذ جمعية العلماء ومكاتب جريدة النّجاح وقتئذٍ – في سياق توصيف درس من دروس الشّيخ الميليّ في جيجل:"... لقد أَبهَرَنَا **بغَزيرِ مَعلُوماته وطُولِ باعه في فنّ التّفسير...**" [3].

7- وقال أحد كتّاب جريدة النّجاح – وهو يصفُ درسًا في التّفسير للشّيخ الميليّ في عزّابة -:"... لعمري **لقد أبدَعَ ... وأَتَى في ذلك الدّرسِ بما أَدهَشَ العُقُولَ** وتَرَكَ أَلسنَةَ سَائر الطّبقات تُثني عليه الثّناء الجزيل..." [4].

8- يقول الأستاذ أحمد بن ذياب:"...ولعَلَّ البيضاويّ الذي استعَارَ اسمَهُ هو "بيضاويّ التّفسير" لما اشتهر به من بلاغة الأسلوب، واختصار في التّعابير، ودقّة في اختيار الألفاظ المعبّرة، دون سفسفة أو سفسطة، وكانت مقالات الشّيخ مُبارك السّياسية تناولها في عدة مناسبات، ولكن في المستوى الرّفيع، وعلى أساس المبادئ الإنسانيّة السّامية"[5].

---

[1]- مبارك الميليّ، لمحمد البشير الإبراهيميّ، مقال منشور في جريدة البصائر(1/ 206)، (عدد 26) عدد خاصّ، السنة الثانية من السلسلة الثانية، (يوم الاثنين 26 ربيع الثاني 1367 هـ الموافق ليوم 08 مارس 1948م)، ص 02.

[2]- حياة رجل الإرادة مبارك الميليّ 1898- 1945م، بقلم أحمد بوزيد قصيبة، مقال منشور في جريدة البصائر(1/ 206)، (عدد 26) عدد خاصّ، السنة الثانية من السلسلة الثانية، (يوم الاثنين 26 ربيع الثاني 1367 هـ الموافق ليوم 08 مارس 1948م)، ص 03.

[3]- وفد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في جيجل)، بقلم (مكاتبكم مقيدش)، مقال منشور في جريدة النّجاح، عدد 1358، السنة الثالثة عشر، (الجمعة 21جمادى الأولى 1351 / 23 سبتمبر 1932) ص 02.

[4]- أمين مال جمعية علماء المسلمين في عزابة، وقد ورد في آخر المقال أنه لمكاتب الجريدة هكذا: (مُكَاتبكم) مقال منشور في جريدة النّجاح، عدد 1337، (02 ربيع الثاني 1351 / 05 أوت 1932)، السنة الثالثة، ص 02.

[5]- الشّيخ مبارك الميليّ في ذكرى وفاته الثانية والثلاثين، بقلم الأستاذ أحمد بن ذياب، مقال منشور بمجلّة الثّقافة (مجلة تصدرها وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر)، السنة السابعة، العدد 37، صفر- ربيع الأوّل 1397 هـ/ فبراير – مارس 1977م ، ص 45.

التّعليق على تلك المقالات والشّهادات:

إنّ من وُصفَ بالعلاّمة وشُبّهَ بابن تيمية، وشُهد لَهُ بصحّة الإدراكِ لِفقهِ الكتاب والسُّنّة، وسعة الاطّلاع على النُّصُوص والفُهُوم، والتّمييز بينها والتّطبيق لكلّياتها. أو أنّه – في السّجال – بحرٌ لا تُخاضُ لُجّتُهُ، وحَبرٌ لا تُدحضُ حُجّتُهُ، وأنّه ذو ألمعيّة كشّافة، وأنّهُ عالمٌ مستكمل الأدوات ...

وإنّ من شُهدَ لَهُ في التّدريس بالميل إلى دُرُوس التّفسير لأنّهُ أعلقُ بالنُّفُوس ...وأنّه يُبهرُ في ذلك بغَزيرِ مَعلُوماته وطُولِ باعه في فَنّ التّفسير...وأنّهُ يأتي في ذلك بما يُدهشُ العُقُولَ...

وهكذا مَنِ استعارَ لِنفسِهِ اسم "بيضاويّ التّفسير" لا بدّ أن يَحملَ ذلك إشارةً إلى شخصيّة القاضي ناصر الدين البيضاويّ المفسّرة، تلك التي اشتهرت ببلاغة الأسلوب، واختصار التّعبير، ودقّة اللّفظ...

إنّ الذي نُعتَ بتلك النّعوت، ووصف بتلك الأوصاف، وشُهدَ لَهُ بتلك الشّهادات لا بدّ أن يكون على **مرتبة معتبرة في العلم بالتّفسير وعلومه.**

ومن جهة أخرى، فإنّ خوضه غمار التّفسير كَمَا تَشهَدُ لَهُ درُوسُهُ الدّائمة في الأغواط وميلة، وأخبار دُرُوسِهِ المتفرّقة في رحلاته وزياراته إلى المدن والقرى الجزائريّة[1]، واجتهادهُ في توظيف معاني الآيات وتطبيقها على واقع الأمّة الجزائريّة **لهو خيرُ دليل على درايته بالتّفسير ومعاني القرآن ومرادات الآي.**

نعم لم ينعتهُ بالمفسّر مَن تَرجَمَ لَهُ، ليسَ مِن أجلِ أنّهُ ليسَ أهلًا لذلكَ، أو أنّهُ لا درايةَ لَهُ به، أو أنّهُ لم يُمارسهُ، وإنّما لأجل أنّ شخصيته الإصلاحيّة عُمومًا، واشتغاله بتاريخ الجزائر قديمه وحديثه غطّى على نشاطاته العلميّة الأخرى، فهذه قراءتي، وتقديريّ، وقد يتبيّنُ لي – مُستقبَلاً – ما يستدعي المراجعة والاستدراك، فَأُورِدُهُ وأُميّزُهُ وأستثمِرُ فيه.

ومن وجهة نظر أخرى يمكنُ أن يقال:

إنّ كثيرًا من العلماء المذكورين بالاشتغال بتفسير القرآن لا يُحفظُ لهم شيء من آثارهم إلى الآن ، إلاّ تلك الأخبار عن دُرُوسهم، مِن أجلِ ذلك عَدَّهُم الدَّارسُون وأصحابُ المعاجم مُفسِّرينَ، أو مُفسِّرينَ شَفَويّينَ.

---

[1]– وقد رأيتُ نحو عشرين خبرًا حول دروسه، أكثرها في أعداد من جريدة البصائر (لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين)، وأعداد من جريدة النّجاح لمديرها الأستاذ عبد الحفيظ بن الهاشميّ، وجمعتُ عددا معتبرًا منها ينيف عن عشرين درسًا، نشرتُ منها عشرين درسًا في مقالة بعنوان: دروس الشيخ مبارك بن مُحَمَّد الميلي في التفسير في رحلاته إلى المدن الجزائرية – توثيقًا وتوصيفًا وتحليلا – في مجلة الشهاب، التي تصدر عن معهد العلوم الإسلامية بجامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، الجزائر (المجلد: 08، العدد: 01، (شعبان 1443 هـ/ مارس 2022م))، ص 99- 126.

فبإلقاء نظرة عجلى في تاريخ الجزائر الثّقافي للدّكتور أبو القاسم سعد الله نجدُ حديثه عن بدايات التّفسير في الجزائر يذكر شيخ مبارك الميليّ وهو الشّيخ مُحَمَّد معنصر، ويَعُدُّهُ من أبرز المفسّرين الشّفويّين، وكذلك الشّيخ ابن الموهوب القسنطينيّ، وغيرُهُم كثيرٌ، مع أنّهم لا تكادُ تحفظُ عن دُرُوسِهِم في التفسير إلا أخبار قليلة جدًّا[1]، لا تُساوي ثُلُثَ ما عُرِفَ من دُرُوس الشّيخ مُبارك الميليّ.

ونظرة أخرى في كتاب عنوان الدّراية للغبرينيّ؛ تُعَرّفُ بأسماء مشاركة في التفسير في مدينة بجاية، مع أنّها لم تفسّر إلاّ سورًا أو آيًا من كتاب الله.

أفلا يقالُ – وحال هؤلاء ما ذكرتُ –: إنّ الشّيخ المصلح، والأستاذ المؤرّخ، والعلامة الفذّ، والعبقريّ الفرد مبارك الميليّ يَستحِقُّ أن يُذكرَ اسمهُ في طبقة أعلى من طبقات المفسّرين الجزائريّين ويدرج اسمه ضمن أعلام التّفسير في الجزائر؟

إنّ هذا الذي سبق تقريرهُ، والْتُمِسَ طريقه قد يشهدُ له صنيعُ الأستاذ أبو القاسم سعد الله رحمه الله وهو يتحدّثُ عن المفسّر أحمد العباسي بقسنطينة، حيثُ قال: "وفي قسنطينة اشتَهَرَ الشّيخ أحمد العباسي بِدُرُوس التّفسير قَبل احتلال قسنطينة، وكان من قُضاة الحاج أحمد وعُلَمَاء الوقت، وكذلكَ مُحَمَّد ابن العنّابيّ صاحب (السّعي المحمُود) قَبلَ نَفيِهِ مِن الجزائر سنة 1830.

وقد استَمَرَّ على ذلك بعد نَفيِهِ إلى مصر أيضًا، **وتَشهَدُ مُؤلّفاتُهُ في غير التّفسير أنَّهُ كانَ قادرًا على وَضع تفسيرٍ جامعٍ لأنَّ استشهاداتِهِ بالقُرآن كثيرة وثقافته الدّينية عميقة**، وقد كان جدُّهُ أحدَ الذينَ تَرَكوا تَفسيرًا مَكتُوبًا خلالَ العهد العُثمانيّ، هؤلاء هم بعض المخضرمين مِن عُلماء الجزائر الذينَ دَرَّسُوا التّفسيرَ ولم يُؤلّفُوا فيه"[2].

ونظرة أخرى في كتاب الشرك ومظاهره تشهدُ بضلوع الشّيخ في علم التفسير، فإنّ استشهاداته بالآيات القرآنية، واستنباطاته المتميّزة، وحسن التّنزيل الواقعيّ لمعانيها، كلّ ذلك دليلٌ على مرتبته العليا في العلم بالتفسير، خاصّة وقد شهد أحد تلامذته الأجلاء – وهو الأستاذُ أحمدُ بنُ بُوزيد قصيبة – بأنّ كتاب (الشّرك ومظاهره) إنّما هو نتيجة وثمرة لدُرُوسِ تفسير سُورة الأنعام في بلدة الأغواط[3].

---

[1]– ينظر: تاريخ الجزائر الثقافيّ، الدكتور أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط1 (1998م)، 7/ 9- 14 .

[2]– ينظر: تاريخ الجزائر الثقافيّ، الدكتور أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط1 (1998م)، 7/ 10.

[3]– حياة رجل الإرادة مبارك الميليّ 1898- 1945م، بقلم أحمد بوزيد قصيبة، مقال منشور في جريدة البصائر(1/ 206)، (عدد 26) عدد خاصّ، السنة الثانية من السلسلة الثانية، (يوم الاثنين 26 ربيع الثاني 1367 هـ الموافق ليوم 08 مارس 1948م)، ص 03، وتنظر مواضع كثيرة في (رسالة الشرك ومظاهرهُ).

المبحثُ الثّاني: الدُّرُوسُ التّفسيرّيةُ الدّائمةُ للشَّيخِ مُبَارك بن محمد الميليِّ في مدينتي الأغواط وميلة ودورها الإصلاحيّ:

لقد أفادت مصادرُ البحث ومراجعُهُ أنّ الشّيخ مباركًا بنَ مُحَمَّد الميليّ دَاوَمَ – نِسبيًّا – على إلقاء دروس التّفسير على طلبة العلم وعامّة النّاس في مدينتي الأغواط وميلة، حيثُ استقرّ بهما مدرّسًا معلّما مصلحًا ، وذلك ضمن نشاطه الإصلاحيّ العامّ.

وسيتولّى هذا المطلب التّعريف بتلك الدّروس الثّلاثة وتوثيق أخبارها ومَا وردَ في توصيفها، محاولاً استجلاء أهمّ ملامح أو معالم الاتجاه الإصلاحيّ فيها، من خلال الأخبار عنها، والتوصيف لبعضها، وذلك على النّحو الآتي:

المطلب الأول: درسُهُ في التّفسير في مدينة الأغواط ودورهُ الإصلاحيّ:

أَفَادَت الأخبار أنّ الشّيخ مُبارَكًا الميليّ انتقل إلى الأغواط في حدود 1926، ومكث فيها إلى نحو 1932، فكانت مدّة نزوله بها نحو سبع سنوات تقريبًا[1].

وقد أسّس الشّيخُ مبارك الميليّ (مدرسة الشّبيبة الأغواطيّة)، ووضع لها برامج معتبرة، فَكَوَّنَ تَلامذَةً فُحُولًا، ورجالاً مُصلِحِينَ مُتَميّزينَ.

وإلى جانب ذلك **كان يعقدُ درسًا في تفسير القرآن في الجامع العتيق بالأغواط**، ويظهرُ أنّه لم ينقطع عنه مدّة استقراره بالأغواط مُدرّسًا مصلحًا عاملا في تعليم النّاس وتصحيح عقائدهم.

[1]– ينظر: حياة رجل الإرادة مبارك الميليّ 1898– 1945م، بقلم أحمد بوزيد قصيبة، مقال منشور في جريدة (البصائر(1/ 207)، (عدد 26) عدد خاصّ، السنة الثانية من السلسلة الثانية، (يوم الاثنين 26 ربيع الثاني 1367 هـ الموافق ليوم 08 مارس 1948م)، ص 04.

وقد حَفِظَ لَنَا تَلاميذُ الشّيخ مُبارك الميليّ أخبارًا عن درسه ذاك، فوصفوا بعض مضامينه، وأخبروا عن أهمّ الموضوعات التي كان يطرقها، والأسلوب التّأثيريّ الذي يتميّزُ به، بل وحدّثَ بعضهم عن وقائع وأحداثٍ ذات صلة.

أقولُ:

وكلُّ ذلكَ لَا بُدَّ أن يُساعِدَ على تَلَمُّسِ الدّور الإصلاحيّ في دَرسِهِ التّفسِيريّ، واستنتاجِ ما أَحدَثَهُ ذلكَ الدّرسُ مِن أثرٍ في الفرد والمجتمع والنّفوس.

يُحَدِّثُنَا **الأستاذُ أحمدُ بنُ بُوزيد قُصيبة** عن شيخه مبارك ونشاطه التّدريسيّ أنّهُ:"... كان رحمه الله يُكثرُ من الدُّرُوس اللّيليّة في الوعظ والإرشاد، يُلقيها بالمسجد خمسَ ليالٍ في الأسبوع، **في التّفسير** والحديث والفقه والسّيرة والأخلاق، **فكَانَ لَهَا أَثرٌ بالغٌ في النُّفُوس شُبَّانًا وَشِيبًا وكُهُولًا** لأنّهُ كان يُعنى كلّ الاعتناء بتقوية الإيمان في القُلُوب وتطهيرها مِن أَدرَان الشّرك والرّياء وفساد الاعتقاد، **ولذلك كانَ يميلُ إلى دُرُوسِ التّفسير لأنّهُ أعلقُ بالنُّفُوس ولا سيما تفسير السُّور المكّيّة والمسَائل الاعتقادية فيها على الأخصّ كسُورة الأنعام وغيرها، فكانت رسالة الشّرك فيما بعدُ ثمرةً لَهَا وزُبدَةَ أَبحاثِهِ فيهَا.**

أمّا في دُرُوس الفقه فكان يُعنَى بتقرير حكمة مشروعيّة الأحكام وبيان مقاصد الشّريعة من التّكاليف في العبادات، وما فيها من المصالح العامّة وسعادة المجتمع في المعاملات.

وكذلك كان يخرجُ إلى الجَلفَة شمالًا وبُوسعادة شَرقًا وآفلُو غربًا **لإلقاء مثل تلك الدّروس مِن حينٍ إلى آخر على أهلها، فَيَدعُوهُم للإصلاح والتّمسُّك بحبل الله ويذكّرُهُم ويُرشدُهُم ويحرّضُهُم على نفض غُبَار الجهل والكَسَل والخُمُول"** [1].

ونجدُ أيضًا الأستاذ مُحَمَّد علي دبّوز يتَحدَّثُ عن أعمال مُبارك الميليّ في تلك المدينة، فَيُخبِرُ بدرسه في تفسير القرآن، ضمن جهاده الاجتماعيّ، فيقول:" كان الشّيخ الميليّ **مُعتَنيًا كُلَّ الاعتناء بإصلاح المجتمع...فَشَمَّرَ الأستاذُ الشّيخ مُبارك لإصلاح المجتمع الأغواطيّ، فاختَارَ الجامِعَ العَتيقَ لدُرُوس وَعظِهِ.**

وكان يُلقي دَرسًا على العامّة في كُلّ ليلةٍ بعد صلاة العِشاء مَا عَدَا ليلة الجمعة يوم العُطلة الأُسبُوعيّة، وكان الجامعُ العتيقُ يَتوسَّطُ الأغَواطَ، وكان لَهُ مقامٌ كبيرٌ في القُلُوب لِتَاريخِهِ وقِدَمِهِ، **وكانَ يمتَلِيءُ بالنّاس في وَقتِ الدّرسِ عَلى سعته، وكَانَ للنّساءِ قسمٌ فيه، وَكُنَّ يَسمَعنَ دُرُوسَ الشّيخِ مِن وَرَاء سِتَارٍ.**

[1]- البصائر(1/ 206)، (عدد 26) عدد خاصّ، السنة الثانية من السلسلة الثانية، (يوم الاثنين 26 ربيع الثاني 1367 هـ الموافق ليوم 08 مارس 1948م)، ص 03، عنوان المقال: حياة رجل الإرادة مبارك الميليّ 1898- 1945م، بقلم أحمد بوزيد قصيبة.

وكانت دُرُوسُ الشّيخ في الوَعظ تَقُومُ على القُرآن والحَديث، يختارُ آيَةً لموضُوعِهِ أو حَديثًا، فَيُفَسِّرُهُ ويُطَبّقُهُ على المجتَمَع، ويجعَلُ النّاسَ يَشعُرُونَ أنّ الله يخاطِبُهم فَيَعِدُهُم ويُوعِدُهم، فَتخشَعُ قلُوبُهم بذكرِ الله، وتَسِيلُ دُمُوعُهُم تَأثّرًا واتّعاظًا بحدِيث رَسُول الله.

وكان الشّيخ فصيحًا، غزيرَ المادّة، قَويَّ الشّخصيّة، مُخلصًا في وعظه، صَادقًا فيه، مُتَحمّسًا في قولِهِ، **فكانَت دُرُوسُ وَعظِهِ لهذا بَالغةَ التّأثيرِ في النّفُوس، يَتَحمَّسُ بها النّاسُ ويخشعونَ**، وكانت سَاحرةً، تَأْسِرُ قُلُوبَ العَامّة فَيُسَارعُون في وقتها لحضُورِها، لا تستطيعُ أشغالُهُم ومَلَذّاتُهم أَن تَصرِفَهُم عنها.

وكان الشّيخ يبدأ دُرُوسَهُ في هُدُوء وتمهّلٍ في القولِ فَيَظُنُّ مَن لا يعرِفُهُ أنّ به عَجزًا ثمّ يَتَحمَّسُ فَيَفيضُ في دَرسه، ويتفَجّرُ منه القولُ تَفَجُّرًا، فَينَهمِرُ انهمَار المُزنِ الغَزِير وتُدوّي جنبَاتُ المسجِدِ بصَوته القَويّ، ويَسمَعُهُ النّاسُ مِن خَارج المسجِدِ أيضًا، **ومِن حَسَنَات الشّيخ في دُرُوسِ وَعظِهِ أنّهُ بعد أن يُسهِبَ في موضُوعه يَختِمُهُ بخُلاصةٍ فيها كُلُّ معانيه**، فيقُوم السّامعون وَهُم على ذِكرٍ لِمَا مَرَّ عليهم في الدّرسِ الطّويل.

وكان الشّيخ **يَشرحُ أمراضَ المجتَمَع في دُرُوسه، فَيُبَيّنُ آفاتها وويلاتها على أصحابها**، وكان يهجمُ على الإلحاد الذي تَبُثُّهُ المدارسُ الاستعماريّةُ والأحزابُ السّياسيةُ المنحرفةُ، ويُهَاجمُ البِدَعَ التي أُلصِقَت بالدّين، فَقتَلَتِ المسلِمِينَ، ويُهَاجمُ ضَلالات الطُّرقيّين الضّالّين (كزردات) القبور، وحفلَات مواليد المشايخ الطُّرقيّين، واعتقاد العامّة في الشّيخ وطريقته ما يُنَافي الدّين، وغير ذلك من المفاسد الخُلُقيّة، وكانت لِدُرُوس الشّيخ نتائجُها العظيمةُ، **فَشَاعَت الثّقافةُ وحُبُّ العَربيّة والدّين في الأغواطيّين...**"[1].

وَإلى جانب ذَيْنِكَ الخَبَرينِ الجَلِيلَين، والتّوصيفين الدّقيقين، نجدُ الشّيخ الدّكتور التّواتي بن تواتي الأغواطّي يُخبِرُ بحادثةٍ وَقَعَت في دَرسٍ للشّيخ مُبَارِكٍ الميليّ، فيقولُ:"... وأذكرُ واقعةً أُخرى أنَّ أَحَدَهُم تَرَبَّصَ بالشّيخ مُبَارك الميليّ في المسجد العتيق، **وكان الشّيخُ في دَرسِ التّفسِير، وبالتّحديد تفسير سورة الزّلزلة**، فَرَاحَ مُختَفيًا وَرَاء سَارِيةٍ مِن سَواري المسجِدِ وهُوَ يَسمَعُ للدّرسِ فَنَهَضَ وَقالَ: وَيْلِي مَا أُرِيدُ أَن أَفعَلَ؟، وذَهَب إلى الشَّيخ وقال لَهُ: يَا شيخ أَتَرَى هَذَا؟ قال لهُ الشّيخُ في ثَبَاتٍ: نعم، إنّهُ قَادُوم، قال: هَذا أُريدُ أن أَقتُلَكَ بِهِ، وَلَكِنّي تُبتُ وَعَلِمتُ أنّي ظالمٌ، ورَاحَ يَبكِي كَالطِّفلِ الصَّغير، والشّيخُ يقولُ لَهُ في ثَبَاتٍ: الرُّجُوع إلى الحَقّ فضيلةٌ، أَحمَدُ اللهَ لَكَ إِذْ نَجّاكَ مِن ارتكَابِ جَرِيمةٍ، وَأَأْسَفُ إِذْ حُرِمْتُ مِن الشَّهادةِ"[2].

أمّا البحثُ في القدر الذي فَسَّرَهُ الشّيخ مبارك في الأغواط خلال سبع سنوات، فإنّ المعلومات المتوفّرة تفيدُ **أنّهُ كان يختارُ آياتٍ وَسُورًا تُناسِبُ مَعانيها وَاقعَ النّاسِ العَقديّ والدّينيّ والاجتماعيّ، وأنّهُ كان**

---

[1]- نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، لمحمد علي دبوز، عالم المعرفة للنشر والتوزيع – الجزائر،ط1(2013م)، 3/ 260 – 261.

[2]- الشيخ مبارك الميلي وأثره العلمي في الأغواط، مقال للدكتور التواتي بن تواتي بموقع الشيخ ابن باديس الإلكتروني: **https://binbadis.net/archives/2149**

يفسّرُ سورة الأنعام، كما يفيدُهُ الأستاذ أحمد قصيبة في نصّه السّابق: " ... **ولذلك كان يميلُ إلى دُرُوسِ التّفسير لأنّهُ أعلقُ بالنُّفُوس ولا سيما تفسير السُّور المكّيّة والمسَائل الاعتقادية فيها على الأخصّ كسُورة الأنعام وغيرها، فكانت رسالة الشّرك فيما بعدُ ثمرة لها وزُبدة أبحاثه فيها**..." [1].

ومن جهة أخرى، فإنّهُ لا يَبعُدُ أن يعتني الشّيخُ مبارك في الأغواط بتفسير جُزء عَمَّ، **باعتبارها مكّيًّا كلّه أو جلّه**، بناء على ما أخبر به الأستاذُ قُصيبة من عناية الشّيخ بالسّور المكّيّة، التي تعنى في الغالب بتقرير التوحيد والدّعوة إليه والنّهي عن الشرك ونبذه، وإصلاح القلوب وبيان أصول الإيمان والعقيدة الصّحيحة، وإثبات أنّ القرآن من عند الله، والرّدّ على الجاحدين، وإثبات صدق نبوّة محمدّ ﷺ.

ولعلّ مَا يَزِيدُ هذا الاحتمال قُوَّةً ما ذكرهُ الدّكتور تواتي بن التّواتي آنفًا من الحدث الواقع في درس **تفسير سورة الزّلزلة**...[2]، وكذا مَا نُقِلَ عن الشّيخ مُبارك من الوصيّة بجُزء عمّ في ميلة شهر ذي الحجّة 1356 هـ، فيما سجّلَهُ عضوٌ من شباب المؤتمر الإسلاميّ – شعبة ميلة– ، حيثُ وصفَ انعقاد الجلسة العامّة لجمعيّة شباب المؤتمر، فقال: "...وكان موضوعُ كلِّ هذه الخُطَب تنشيطُ الشّباب وحثُّهُ على العمل بجدٍّ وإخلاصٍ، ثمّ تَنَاولَ الكلامَ الأستاذُ الجليلُ الشّيخُ مُباركٌ، فأعطَى الموضُوعَ حقَّهُ... وَحَثَّ آخِرَ كَلَامِهِ عَلَى لُزُومِ اعتِنَاءِ الشّبَابِ **بِتَلْقِينِ جُزءِ عَمَّ عَلَى الأَقَلّ**..." [3].

---

[1]– حياة رجل الإرادة مبارك الميليّ 1898– 1945م، بقلم أحمد بوزيد قصيبة، مقال منشور في جريدة البصائر(1/ 206)، (عدد 26) عدد خاصّ، السنة الثانية من السلسلة الثانية، (يوم الاثنين 26 ربيع الثاني 1367 هـ الموافق ليوم 08 مارس 1948م)، ص 03.

[2]– الشيخ مبارك الميلي وأثره العلمي في الأغواط، مقال للدكتور التواتي بن تواتي بموقع الشيخ ابن باديس الإلكتروني: **https://binbadis.net/archives/2149**

[3]– شباب المؤتمر الإسلامي الجزائريّ شعبة ميلة)، بقلم عضو (لم يُسمّ)، مقال منشور في جريدة (البصائر، 3/ 126)، (عدد 104) السنة الثالثة، (يوم الجمعة 16 محرم 1357 الموافق ليوم 18 مارس 1938)، ص 08.

المطلب الثاني: درسُهُ في التّفسير في مدينة ميلة ودورهُ الإصلاحيّ:

وهو درسٌ من دروسه التي كان يُدَاومُ عليها ضمن نشاطه الإصلاحيّ في مدينة ميلة بعد عودته إليها من الأغواط نحو سنة (1932م) تقريبا[1].

والحقُّ أنّ هذا الدّرس قد انتشر خبرهُ في الصُّحُف، ووصفتهُ أقلام بعض علماء الجمعيّة وكتّابها.

وفي توثيقه والتّأريخ له وَجَدتُّ كلمة البصائر تعليقًا على مقالة بعنوان: (بَين مُحِبّي العِلم ومُحِبّي الجهل) لكاتبها الطّاهر بن يُوسُف، حيثُ وَرَدَت الكلمة إيضَاحًا لِنُقَطٍ منه، مِن ذلك مَا نَصُّهُ: "...وَلَمَّا حَلَّ أَمينُ مالِ جمعيّة العُلماء بميلةَ **وَشَرَعَ في إلقاء دُرُوسٍ في التّفسِير** رَغِبَ بعضُ أهلِ (زغاية) مِن طَلَبةٍ وعامّةٍ في حُضُور تلك الدّروس. فَكانَ منهم مَنِ استَطَاعَ المواظبةَ عليها؛ ومِنهُم مَن لم يَستَطِع ذلك. فَرَغِبُوا في استدعَائِهِ إلى (زغاية) لِيَسهُلَ عليهم وعَلَى مَن جَاوَرَهُم حُضُورُ دَرسِهِ كَيْ يَستفِيدُوا عَقائدَ سالمةً ومواعظَ نافعةً.

أَلقَى أوّلَ درسٍ في رَمَضان، وذلك بالمسجِدِ الكَبِيرِ، لِكونِهِ هُو الذي يمكنُ أن يَسَعَ الحاضِرِينَ، وكان موضوعُ الدّرس حديث: **(المسلمُ من سَلِمَ المسلمُونَ مِن لِسَانِهِ ويَدِهِ، والمهَاجِرُ مَن هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عنه)** مَهَّدَ به الطّريق لجمعِ الكَلمةِ بَينَ أَهلِ المسجِدَينِ بما أَظهَرَ لهم مِن مَسَاوِي إطلاقِ اللّسانِ في أعراض النّاسِ ومِن مَحاسِنِ كَفِّ الأَذَى اللّسَانيّ واليَدَويّ..."[2].

وهذا الشّيخُ الفقيه أحمد حمّاني– وهو مُتَجوّلُ البصائر وقتئذٍ– يُحَدّثنَا عن درسِ التّفسير للشّيخ مبارك، ضمن حديثه عن مدينة ميلة ومساجدها ودروس الوعظ بها والجمعيّات والنّوادي فيها، فقال

---

[1]– ينظر: حياة رجل الإرادة مبارك الميليّ 1898– 1945م، بقلم أحمد بوزيد قصيبة، مقال منشور في جريدة (البصائر(1/ 207)، (عدد 26) عدد خاصّ، السنة الثانية من السلسلة الثانية، (يوم الاثنين 26 ربيع الثاني 1367 هـ الموافق ليوم 08 مارس 1948م)، ص 04.

[2]– بين محبّي العلم ومحبّي الجهل، بقلم الطّاهر بن يوسف [زغاية]، مقال منشور في جريدة (البصائر، 1/ 150)، (عدد 18) السنة الأولى، (يوم الجمعة 16 صفر 1355 الموافق ليوم 08 ماي 1936)، ص 06– 07.

وفي الفقرة الثانية من هذه الكلمة: (ألقى أوّل درس في رمضان...)أخ، يُرادُ بها دروسه في زغاية وليس في ميلة كما قد توهمُهُ العبارة، والمقصود بالمسجدين: اللّذان ذُكرا في كلمة البصائر عند التعريف بمنطقة زغاية: " ...سكّانها كلّهم مسلمون. وبها مسجدان أكبرهما للمعلمين، والصغير منهما ما زال حتّى اليوم أهله متمسّكين بالتّقاليد الطّرقية. والمسجدان ومتقاربان في الموضع بحيث إذا جهر أحدهم جهرًا فوق المعتاد يمكن أن يشوّش على الآخر...". بين محبّي العلم ومحبّي الجهل، بقلم الطّاهر بن يوسف [زغاية]، مقال منشور في جريدة (البصائر، 1/ 150)، (عدد 18) السنة الأولى، (يوم الجمعة 16 صفر 1355 الموافق ليوم 08 ماي 1936)، ص 07.

رحمه الله:"... فلمّا جاءت النّهضة الإصلاحيّة كانت ميلةُ في طليعة البُلدان المناصِرة لها حَتّى رَجَعَ إليها ابنُهَا البَارُّ الشَّيخُ مُبَارِكٌ الميليّ فَفَاقَت غيرَهَا مِن المدُن والقُرى.... ورغم مرضِ الأستاذِ – حفظه الله – ورغم – أعماله المتراكمة في الجريدة– فإنّهُ يَقُومُ بإلقاء دَرسَيْن في الأُسبُوع يوم الجمعة ويوم الاثنين في تفسير القُرآن الكريم..."[1].

وإذا حاولنا التّعرّف على القدر الذي فَسَّرَهُ الشّيخ مبارك الميليّ من القرآن الكريم؛ لم نجدْ حديثًا كثيرًا في ذلك، إلاّ نزرًا يسيرًا عند الأستاذ أحمد الغوالميّ وهو يتكلّمُ عن أستاذه الميليّ مُدرّسًا ومُعلّمًا:"... وَقد وَقَعَ اختِيارُهُ حينمَا حَلَّ بميلةَ على (سُورة الأنعام) فَفَسَّرَهَا وَصَحَّحَ بها العَقَائدَ، وأَوثَقَ بها الحبلَ المنفَصِمَ، فَصَارَ مُتَوَطِّدًا، كَما جَدَّدَ بها **فِكرةَ الإصلاح الدِّينيّ** هُناكَ... ويُخصِّصُ لدرسِ التّفسير ليلةَ سُوقِ البَلدةِ لِيَشهَدَهُ الحاضرُ والبَادي، وَتَعُمَّ الدّعوةُ الإصلاحيّةُ جميعَ النّاس، ولعلّهُ يَرَى جانبَ البَدَوِيّينَ أَصغَى وأَطوَع لأنّ فِطَرَهُم سليمةٌ لم يُخامِرْهَا نفاقٌ، ولم يُفسِدْهَا اختلاطٌ، ولم يَدَنّسْ شَرَفَها ارتباطٌ، ويحضرُ درسَهُ المتَيَقِّنُ والمتردّدُ والشَّاكُّ، وكُلٌّ يَسألُ عَمَّا يَبدُو لَهُ، فَيُبيّنُ أنّ الإسلام لا يصحُّ إلاّ بالإيمان الجازم، واليقِينِ الحاسِم، فَاسأَلُوا أَهلَ الذّكرِ إن كُنتُم لا تعلَمُون، هذه لمحة وجيزةٌ عن درسه المسجديّ أَجملناهَا هُنَا"[2].

وتزدادُ النّزعة الإصلاحيّة في درس الشّيخ مبارك ظهورًا، وما يتعلّقُ بها من المعالم المنهجيّة بُروزًا من خلال توصيفٍ عامٍّ لدرسه بقلم الشّيخ الأستاذ أحمد حمّاني، فقد قال:"... ولقد حَضَرتُ دَرسًا مِن دُرُوسِهِ فَكانَ الجامعُ غَاصًّا بالمستَمِعينَ، وَهُم مُقبِلُونَ عليه بِشَغَفٍ، وكان الأستاذُ حفظَهُ الله يُلقي دَرسَهُ بفصاحةٍ وبَيَانٍ، على طريقة السَّلَف الصَّالح، وأعلام الإسلام، فَيجمَعُ في دَرسِهِ بين الوعظ والإرشاد، والتّمحيص العِلميّ، يجمعُ الأقوالَ ثُمَّ يُعَقِّبُ عَلَيهَا تَرجِيحًا، وَتَضعِيفًا وانتِقَادًا، فَكَانت ساعةً مِن أَمتَعِ سَاعَاتِ الحيَاةِ تِلك التي كُنتُ جَالسًا أَستَمِعُ إليه"[3].

وهذا التّوصيفُ هو ما نجدُهُ مقصودًا في مقالة الأستاذ أحمدُ الغوالميّ، فقد كتب بمناسبة وفاة الشيخ مبارك مع جمهرة من الكُتّاب وذوي الأقلام من العلماء والأعلام.

فكان ممّا سطّرهُ في حَقّ شَيخِهِ ما وصفهُ من نشاطه العلميّ بميلة، وأخبرَ به عن دَرسِهِ في التّفسير، ذاكرًا بعض ميزاته، مُنبّهًا على عموم طريقته، وطبيعة الحضور وخطّة برمجته، وهو لمحة وجيزةٌ عن درسِهِ المسجديّ، فهو يقول: "...وكان المرحُومُ مِن العُلماء الذين أُوتُوا بلاغةً في المعنَى ورَشَاقةً في اللّفظ، وَيَا خَسَارةَ مَن تبلغ

---

[1]– حديث المتجول (ميلة)، أحمد حماني، مقال منشور في جريدة (البصائر، 3/ 148)، (عدد 107) السنة الثالثة، (يوم الجمعة 07 محرم 1357 الموافق ليوم 08 أفريل 1938)، ص 06.

[2]– الميليّ كمعلّم ومدرّس، بقلم أحمد الغوالميّ، مقال منشور في جريدة البصائر(1/ 220)، (عدد 27)، السنة الثانية من السلسلة الثانية، (يوم الاثنين 04 جمادى الأولى عام 1367 هـ الموافق ليوم 15 مارس سنة 1948م)، ص 08.

[3]– حديث المتجول (ميلة)، أحمد حماني، مقال منشور في جريدة (البصائر، 3/ 148)، (عدد 107) السنة الثالثة، (يوم الجمعة 07 محرم 1357 الموافق ليوم 08 أفريل 1938)، ص 06.

في اللّفظ دون المعنى، ويا سعادة من أحاط بهما خُبرًا، فَهُو يَشرحُ المعنى بأسلُوبٍ لَهُ طَرفَان. طَرفٌ تَتَذوّقُهُ الخاصَّةُ تَذَوُّقًا حُلوًا، وطرفٌ تَنتعِشُ بِهِ العَامّةُ انتعاشًا مَلمُوسًا مَسمُوعًا يُحرّكُ به وَترهَا اليوميّ، وَقد وَقَعَ اختِيارُهُ حينمَا حَلَّ بميلةَ على (سُورة الأنعام) فَفَسَّرَهَا وَصَحَّحَ بها العَقَائدَ، وأَوثَقَ بها الحبلَ المنفَصِمَ، فَصَارَ مُتَوَطِّدًا، كَما جَدَّدَ بها فِكرةَ الإصلاح الدِّينيّ هُناكَ، ومِن آونةٍ لأخرى تَسمَعُ مِن شُهُودِ دَرسِهِ حِكمًا مُفَصَّلَةً، وَأمثَالاً مُرسَلَةً، وَقد تجدُ مَن يَشرَحُ لَك دَرسَهُ مِن أَوّلِهِ إلى آخِرِهِ... ويُخصِّصُ لدرسِ التّفسير ليلةَ سُوقِ البَلدةِ لِيَشهَدَهُ الحاضرُ والبَادي، وَتعمّ الدّعوة الإصلاحيّة جميع النّاس، ولعلّهُ يَرَى جانبَ البَدَوِيّينَ أَصغَى وأَطوَع لأنّ فِطَرَهُم سليمةٌ لم يُخامِرْهَا نفاقٌ، ولم يُفسِدْهَا اختلاطٌ، ولم يَدَنّسْ شَرَفَها ارتباطٌ، ويحضرُ درسَهُ المتَيَقِّنُ والمتردّدُ والشَّاكُّ، وكُلٌّ يَسألُ عَمَّا يَبدُو لَهُ، فَيُبيّنُ أنّ الإسلام لا يصحُّ إلاّ بالإيمان الجازم، واليقِينِ الحاسِم، فَاسأَلُوا أَهلَ الذّكرِ إن كُنتُم لا تعلَمُون، هذه لمحة وجيزةٌ عن درسه المسجديّ أَجملناهَا هُنَا"[1].

وفي هذا السّياق يحسنُ التّذكيرُ بما ذكرهُ الأستاذ مُحَمَّد العابد الجلالي في توصيف دَرسٍ ألقاهُ الشّيخ مبارك الميليّ في ميلة في غير سورة الأنعام وهو درسُهُ في تفسير قوله تعالى:﴿ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ١٧ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٨﴾**[التوبة: 17– 18]**.

وذلك بمناسبة افتتاح ميلة مسجدها الجديد، وتاريخُهُ كان – فيما يُفهَمُ مِن بعض عبارات المقال– بعد السّاعة السّابعة مساءً يوم الجمعة (**01 من رجب 1352 هـ**) الموافق ليوم 20 تشرين الأوّل (أكتوبر) 1933م[2].

---

[1]– الميليّ كمعلّم ومدرّس، بقلم أحمد الغواليّ، مقال منشور بجريدة البصائر(1/ 220)، (عدد 27)، السنة الثانية من السلسلة الثانية، (يوم الاثنين 04 جمادى الأولى عام 1367 هـ الموافق ليوم 15 مارس سنة 1948م)، ص 08.

[2]– ينظر: ليلة بميلة، بقلم مُحَمَّد العابد الجلالي، مقال منشور في جريدة الصراط السوي، السنة الأولى، عدد 9، (يوم الاثنين 25 رجب 1352/ 15 نوفمبر 1933)، ص 08.

ومن باب التّنبيه فإنّ خبر هذا الدرّس يفيدُ ببعض الملامح المنهجيّة والنّقاط التّعريفيّة، إلاّ أنني أعرضتُ عن جلبهُ هنا، لكوني ذكرتُهُ في موضع آخر وفي بحثٍ آخر، وهو: دروس الشيخ مبارك بن مُحَمَّد الميلي في التفسير في رحلاته إلى المدن الجزائرية – توثيقًا وتوصيفًا وتحليلا –، للدكتور مراد خنيش، مقال منشور في مجلة الشهاب، التي تصدر عن معهد العلوم الإسلامية بجامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي، الجزائر(المجلد: 08، العدد: 01، (شعبان 1443 هـ/ مارس 2022م))، ص 106– 107.

ففي خبر هذا الدرس إفادة بجملة من القضايا المتعلّقة بباب الإيمان والعمل، وبعض شعائر الإسلام في سياق الحضّ على المطالبة بحقوق المسلمين في عمارة المساجد، وكلُّ ذلك مراعاةً لواقع النّاس الرّديء وانطلاقًا منه تطبيقًا وعلاجًا.

وتلك القضايا والجوانبُ أذكرُهَا هُنَا مختصرةً في نقاطٍ قصد إبرازها وإيضاح فكرتها[1]، وهي فيما يلي:

1- شهادة الكُفّار على أنفسهم بالكفر ليست بأقوالهم، وإنّما كانت بأعمالهم المخَالِفَة لشُرُوط الإيمان.

2- تحذيرُ السَّامِعين عَاقبةَ الغُرُور النّاشئ عن القَول المجرَّدِ مِن غيرِ مُراعاة تَطبيقه على العَمَل.

3- بعد بيانه مفاد الحَصرِ مِن قوله تعالى:﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ...﴾ إلخ التفتَ إلى التّطبيق الواقعيّ لبعض معانيها، فتكلّم عن قانون الدّولة القاضي بفصل الكنيسة عن الإدارة، وأنّ هذا القَانُون يُحدّدُ للكنيسَة دائرةَ نُفُوذِها ويُعطِيهَا حقَّ التّصرُّف المطلق فيما هو من مَشمُولاتها بعد أن فَصَلَ عنها الإدارة السّياسيّة .

4- تقريرُ أنّ الآيَة الكريمة تُعيّنُ الشُّروطَ التي يَجبُ أن تَتَوَفَّرَ فِيمَن يَعمُرُ مَسَاجدَ الله، والاستنباط منها حقّ المسلمين في مُطالَبةِ الحُكُومة بتطبيق هذا القانون على المساجِد بل الواجب على المُسلِمِين الحرص على ذلك.

5- التّنبيهُ على أنَّ الوَصف الذي يُعطِي لصاحبه الحقّ في عِمارةِ مَسَاجدِ الله لا يكونُ كَاملًا حتّى يكونَ شامِلًا للمنقَبَتَين (إقام الصلاة وإيتاء الزّكاة).

6- تقرير أنّ إيمان البَشَرِ لا يَتِمُّ إلاّ باستشعَارِ الخَوفِ من العَاقبة دَائمًا وَعَلَى كُلّ حالٍ، حتّى يَسلَمُوا مِن آفاتِ الغُرُور، وأنَّ المسلِمِينَ مَا وَقَعُوا فيمَا وَقَعُوا فيه من الانحطَاطِ الشَّاملِ إلاّ بَعدَ أن خرّبت وُجدَاناتهم من هذا الشّعور الحافز للعمل والاجتهاد والمانع من الإهمال والاتّكال.

---

[1]- ينظر نصّ الخبر والتوصيف للدرس في: ليلة بميلة، بقلم مُحَمَّد العابد الجلالي، مقال منشور في جريدة الصراط السوي، السنة الأولى، عدد 9، (يوم الاثنين 25 رجب 1352/ 15 نوفمبر 1933)، ص 08.

المطلب الثالث: درسُهُ في التّفسير في الجامع الأخضر بمدينة قسنطينة:

يذكر عددٌ من المؤرّخين والكاتبين أنّ الشّيخ مبارك الميليّ خَلَفَ شيخَهُ الإمامَ ابنَ باديس بعد وفاته في الجامع الأخضر مدرّسًا ومشرفًا على التّدريس.

غير أنّ الملاحَظ في أخبار هذا الدّرس بعض الاختلاف فيما بينها، وهو ما أوقعني في بعض الاضطراب، ممّا ألجمَ القلمَ عن تسطير بعض الحقائق التي مَظنّتُهَا أخبارٌ تفصيليّة ووقائعُ دقيقة، وهو ما يعوز بحثي – إلى لحظتي هذه –.

ومع هذا الواقع الموصوف، والإشكال الواقع لم أبخلْ على البحث بما استطعتُ الوصول إليه، بل حَرِصتُ على الوُصُول إلى بعضِ مَا طَلَبتُهُ أو أَمَّلتُهُ.

وقد كانت يوميّةُ الشّعب شاهدةً على هذا الحدَث، حيثُ أفادَتْ أنّهُ "لما تُوُفّي الأستاذُ ابنُ باديس **خَلَفَهُ في دُرُوسِ التّفسِيرِ بالجامِعِ الأخضَرِ لِلرّجَالِ، ومِثلِهَا للنّسَاء. وأَمَّا الطّلَبَةُ فإنَّ صِحَّتَهُ لم تَسمَحْ لَهُ بِتَعلِيمِهِم، وَلذلكَ أَحالَهُم على زَمِيلِهِ الأستاذُ الشَّيخُ العربيّ التّبسّي في تبسّة.** ومَا زال المرضُ يلحُّ به وهُو مُنهَمِكٌ في العَملِ إلى أن وَافته المنيةُ في ميلة يوم 09 فبراير 1945 م..." [1].

أمّا الأستاذان أحمد قصيبة وأحمد الغواليّ فَلَم يُفِيدا بشيءٍ صَرِيحٍ يَتعلّقُ بدرسِ مُبارك في التّفسير بالجامع الأخضر، وإنّما أفادا بخلافته شيخه.

فتلميذهُ أحمد قصيبة يقولُ:"... وفي سنة 1940 لما توفّي الأستاذُ الجليلُ الشّيخُ عبدُ الحميد رحمه الله **عُيّنَ خَلَفًا لَهُ إدارة شؤون الجامع الأخضر والإشراف على الدُّرُوسِ.** فَلمَّا تَربَّعَ ذَات يومٍ على مَقعَدِ أستاذِهِ الرّاحل العظيم وَجِلَت نفسُهُ وَعَظُم الأمرُ لَدَيه وَأثّرَ فيه هَولُ الموقِفِ مِن تَذَكّرِ رَئِيسِهِ وأُستاذِهِ حتّى سَالَت عَبراتُهُ سخينةً على خَدَّيْهِ تَوَاضُعًا وإشفَاقًا على نَفسِهِ أن تَغتَرَّ أو تَتَطَاول بِتَبَوُّئِهَا ذلكَ المقعد، فَيَا لها مِن رُوحٍ طاهرةٍ زَكيّةٍ وَنفسٍ عَاليةٍ كريمةٍ ..." [2].

---

[1] – ينظر: من علماء الجزائر الحبيبة: الشيخ مبارك الميلي (1898 – 1945) الحلقة الثانية والأخيرة، (الأربعاء 26 سبتمبر 2018) مقال منشور في موقع يومية الشعب: **http://www.ech-chaab.com/ar**، وجديرٌ بالتنبيه هنا أنّ البحث في هذه القضيّة لا يزالُ مستمرًّا ، عسى أن نعثُر على أخبارٍ تؤكّدُ وتقوّيه.

[2] – حياة رجل الإرادة مبارك الميليّ 1898– 1945م، بقلم أحمد بوزيد قصيبة، مقال منشور في جريدة البصائر(1/ 212)، (عدد 26)، السنة الثانية من السلسلة الثانية، (يوم الاثنين 26 ربيع الثاني عام 1367 هـ الموافق ليوم 08 مارس سنة 1948م)، ص 08.

فهذا الخبرُ لا يفيدُ بدرسِ التّفسير على وجه الخصوص، لكن احتمالُه قائمٌ، لكون التّفسير درسًا كان يُلقَى على الطّلاب.

وأمّا تلميذُهُ أحمدُ الغوالميّ فقد سَجَّلَ خلافة مبارك شيخَهُ **تَتمِيمًا للسَّنَة**، والظّاهر أنّه أراد – الدّراسيّة – **وعبارتُهُ تفيدُ أنّ المدّة قصيرة**– وهذا نصُّ الغوالميّ يقولُ فيه: "...تَوَجَّهَ إلى بلدة الأغواط فأَنشَأَ بها مدرسَةً كمَا أنّهُ مَارَسَ التّعليمَ المسجديَّ بهَا وبميلَةَ، **وخَلَفَ أُستَاذَهُ المرحُومَ بالجامِعِ الأخضَرِ تَتمِيمًا للسَّنَة**..."[1].

وإلى جانب رأيِ الغوالميّ في خلافة مبارك نجدُ قريبًا منها ما سَجَّلَهُ علي مرّاد **– وعبارتُهُ تفيدُ أنّ المدّة امتدّت إلى وفاته –**، فقد قال:" في 1940 عند وفاة عبد الحميد بن باديس **كُلِّفَ بمواصلة التّدريس والدّعاية الإصلاحية بالجامع الأخضر بقسنطينة** الذي كان آنذاك المركزَ الفكريَّ الأَوَّلَ للحركةِ الإصلاحيّةِ الإسلاميَّةِ في الجزائر، **تَوَلَّى مُبارِكٌ الميليُّ هذه الخلافَة إلى غاية وفاته** في 9 فيفريّ 1945 "[2].

وفي مُقابل هذه الأخبار نجدُ المؤرّخ الدّكتور أبو القاسم سعد الله يُسَجّلُ ما قد يُفهَمُ منهُ أنّ مباركًا كان لا يُدرّسُ التّفسير ولا غيرَهُ من العلوم في الجامع الأخضر، فهو يقُولُ في سياق الحديث عن نشاط مبارك في الأغواط وميلة وكتاباته: "... وفي 1935 دَعَا الميليُّ إلى تأسِيسِ مَدرسَةٍ وجامِعٍ في مِيلةَ وجَمَعَ لهما المال بالتّبرعات، وأصبَحَ مَكانُهُ هناك هو مكان الإبراهيميّ في تلمسَان والعُقبيّ في العاصمة والتّبسّيّ في تبسّة وابن باديس في قسنطينة.

وفي هذه الأثناء كان الميليُّ ينشُرُ مقالاته عن الإصلاح الدّينيّ في البصائر، وهي المقالاتُ التي نَشَرَهَا بعد ذلك في كتاب بعنوان: (رسالة الشّرك ومظاهره) سنة 1356/ 1937.

وقد تحدَّثَتِ البصائرُ عن المرض (وهو السُّكّر) الذي كان يعاني منه والذي أَجبرَهُ على المعالجة في فرنسَا، **ولا نكادُ نجدُ لَهُ نشاطًا بعد توقُّفِ البصائر سنة 1939 وإلى وفاته في 9 فبراير 1945**[3].

ورغم أنَّ الجزء الثّاني مِن تاريخِهِ قد ظَهَرَ قبل هذا التّاريخ بأكثر من عشر سنواتٍ فإنَّهُ لم يُوَاصِلْ التّأليفَ فيه ويُخرِجْ بقية الأجزاء.

---

[1]– الميليّ كمعلّم ومدرّس، بقلم أحمد الغوالميّ، مقال منشور في جريدة البصائر(1/ 220)، (عدد 27)، السنة الثانية من السلسلة الثانية، (يوم الاثنين 04 جمادى الأولى عام 1367 هـ الموافق ليوم 15 مارس سنة 1948م)، ص 08.

[2]– الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر (بحثٌ في التاريخ الدّينيّ الاجتماعيّ من 1925 إلى 1940)، لعليّ مرّاد، ترجمة مُحَمَّد يحياتن، دار الحكمة– الجزائر، (2007)(طبعة خاصة لوزارة المجاهدين)، ص 106.

[3]– أفاد الدكتور أبو القاسم سعد الله في الهامش أنّ علي مراد في كتابه (الإصلاح الإسلامي)، (ص 91) يذهب إلى أنّ الميلي قد تولى التدريس في الجامع الأخضر بقسنطينة بعد وفاة ابن باديس سنة 1940، وبقي كذلك إلى وفاته 1945.

كما لا نعلمُ أنّهُ ألّفَ عَمَلًا اجتماعيًّا آخَرَ بعد رسالة الشّرك، رغم قَلَمِهِ الخصب وفكرِهِ النّيّرِ، ومَيلِهِ إلى التّأليف والنّشر. فهل المرض هو الذي كان وراء ذلك؟ أو كانت الأوضاعُ السّياسيّةُ هي التي أَسْكَتَتْهُ كمَا أَسْكَتَت عددًا مِن زُمَلائه أيضًا، أو هُنَاك أسبابٌ شخصيّة لا نعلَمُهَا، كالعُزُوفِ الذي يحدُثُ أحيانًا لبعضِ النَّشِطِينَ؟"[1].

غير أنّ قراءة أُخرَى تَتَبَدَّى للباحث أحيانًا، يمكنُ أن تُجيبَ عن التّساؤل عن اختفاء نشاطِ مُبَارك الميليّ، وهو أن يُقال:

النّصُّ السّابق للدكتور أبو القاسم سعد الله **هو حديثٌ لَهُ عقبَ حديثه عن نشاط مبارك التّدريسيّ والتّأليفيّ مركّزا على التّأليفيّ منهما، في الأغواط وميلة**، فلعَلَّ تساؤله يُوَجَّهُ إلى هذا، مع أنّ ذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله في هامش كتابه رأي علي مرّاد كأنّهُ إشارة إلى النّشاط التّدريسيّ أيضًا[2].

هذا والذي خلصتُ إليه من الأفكار والملاحظات في بحثِ تدريسِ الشّيخ مُبارك الميليّ التّفسير في الجامع الأخضر بعد وفاة شيخه ابن باديس هو ما يلي:

1- أنّ الأخبار والمعلومات المتوفّرة – إلى الآن- لا تُفيدُ بأنّ مُباركا كان يُلقي دُرُوسًا في تفسير القرآن في قسنطينة، أو أنّه خَصَّ أيّامًا من الأسبوع لذلك، كما كان في جامع ميلة، **ومع ذلك فإنّهُ لا يبعُدُ أن تكون للشّيخ مبارك الميليّ دُرُوس في التّفسير وفي غيرها من الفنون، سواء أَقَصُرَتِ مدّتُها أم طالت.**

2- إن ثَبَتَ تدريسُهُ التّفسير في الجامع الأخضر **فإنّهُ يَغلِبُ على الظّنّ أنّهُ لم يُكثِرْ من ذلك، ولو كانَ مُكثرًا لاشتَهَرَ ذلك كما اشتَهَرَ نشاطُهُ وعملُهُ في الأغواط وميلة، والله أعلم.**

هذا ما توفّر لي حول درس التّفسير في الجامع الأخضر، ولستُ أنفي وجود غيرها، ولعلّ البحث مُستقبلاً يكشِفُ عَمَّا خَفِيَ اليَومَ، أَو يُؤَكّدُ ما كان مظنونًا.

[1]- تاريخ الجزائر الثقافي، للدكتور أبو القاسم سعد الله، 7/ 413- 414.

[2]- قال أبو القاسم سعد الله في الهامش: (2):"ذهب علي مرّاد (الإصلاح الإسلامي، ص 91)، إلى أنّ الميليّ قد تولّى التّدريس في الجامع الأخضر بقسنطينة بعد وفاة ابن باديس سنة 1940، وبقي كذلك إلى وفاته سنة 1945". تاريخ الجزائر الثقافي، 7/ 413.

خاتمة

بعد هذه الرحلة المتواضعة مع الشيخ مبارك الميليّ مُفسِّرًا مُصلِحًا من خلال درسيه الدّائمين في الأغواط وميلة خصوصًا يمكنُ تسجيلُ جملة من النّتائج والتّوصيات، وذلك على النّحو الآتي:

أوّلاً: النّتائج: وأهمّ ما سَجَّلَتهُ الورقة ما يلي:

الأولى: تُؤكّدُ الدّراسة أنّ الشّيخ مبارك الميليّ شخصيّة علميّة مُتميّزة لها درايتها بالتّفسير والمعاني القرآنيّة، تستحقّ أن تُذكرَ في طبقةٍ أعلى من طبقات المفسّرين الجزائريّين وفي مرتبة أسمى من مراتب أعلام الجزائر.

الثانية: كانت دُرُوسُ الشّيخ مُبارك الميليّ لَيليّةً مَعنيًّا بهَا عامّة النّاس وخاصّتهم، حاضرهم وبدويّهم، رجالهم ونسائهم وأطفالهم، وبأسلوبٍ يجمَعُهُم، ومَضمُونٍ يَعني واقعَهم، وكان بعضها يحضُرُهُ العلماء ومُتَجوّلوا جمعية العلماء، وغيرهم من مراسلي جرائد الجمعية والجرائد العاملة في طريق الإصلاح.

الثالثة: تؤكّدُ الدّراسةُ أنّ الشّيخ مُبَارِكًا في الأغواط وميلة كان مُشتغلا بقضايا الإصلاح في ضوء سورة الأنعام ومعانيها وموضوعاتها وهداياتها، ولا تنفي اشتغالَهُ بتفسير مَواضع أخرى من القرآن في (الأغواط وميلة).

الرابعة: يمكنُ أن تزعُمَ هذه الدّارسة أنّ جميعَ مَباحث كتاب الشّرك ومظاهرهُ وموضُوعاته يمكنُ إرجاعها إلى معاني وموضوعات ومحاور سورة الأنعام.

الخامسة: يُستفَادُ من النّصُوص المتوفّرة وأخبارِ المدَّة التي استغرَقَهَا الشَّيخُ مُباركٌ في تفسير سورة الأنعام في الأغواط أو في ميلة أنّهُ يستفيضُ في شرح المعاني، واستنباط الهدايات، واستخراج الأحكام، والتّنزيل الوَاقعيّ، وتشخيص الأمراض وعلاجها، فإنّ هذه المدّة (07 سنوات) تُعطي هذا الملمَحَ. **لأنّهُ – في ميلة – كما شَهِدَ الشّيخ أحمد حمّاني – كان يُلقِي دَرسَين في الأُسبُوع يوم الجمعة ويوم الاثنين في تفسير القُرآن الكريم...** وربّما كان كذلك في الأغواط، لكون تلميذه الشّيخ أحمد قُصيبة يُخبرُ عن إلقاء الشّيخ مُبارك خمسة دُروس في خمس ليالٍ" في التّفسير والحديث والفقه والسّيرة والأخلاق... وأنّهُ كانَ يميلُ إلى دُرُوسِ التّفسير لأنّهُ أعلقُ بالنُّفُوس ...".

السادسة: حاوَلَت الدّراسةُ المتواضعةُ أن تُعرِّفَ بِدَرسِ الشّيخِ مُبارك الميليّ في الجامع الأخضر بعد وفاة شيخه ابن باديس، وغايةُ ما توصَّلَتْ إليه أمران: **أحدهما**: عدم توفّر المعلومات الكافية التي تجزمُ بأنّ مباركًا كان يُلقِي دُرُوسًا في تفسير القرآن في قسنطينة، أو أنّهُ خَصَّ أيّامًا من الأسبوع لذلك، **ومع ذلكَ فإنّهُ لا يَبعُدُ أن تكونَ للشّيخ مبارك الميليّ دُرُوس في التّفسير وفي غيرها من الفُنُون، سواء أَقَصُرَتِ مدّتُها أم طالت. ثانيهما**: إن

ثَبَتَ تدريسُهُ التّفسير في الجامع الأخضر **فإنّهُ يَغلِبُ على الظّنّ أنّه لم يُكثِرْ**، ولو كانَ مُكثرًا لاشتَهَرَ كما اشتَهَرَ ذلك ضمن نَشَاطِهِ في الأغواط وميلة، والله أعلم.

السابعة: أفادت أخبارُ تلك الدّروس التّفسيريّة بنقاط تعريفيّة وقضايا مضمونيّة وملامح منهجيّة، أبرزها:

1- أنّ الشّيخ – في درسه – كان فصيحًا، غزيرَ المادّة، قَويَّ الشّخصيّة، مُخلصًا في وعظه، صَادقًا فيه، مُتَحمّسًا في قولِهِ. وكانت دروسُهُ سَاحرةً، تَأْسِرُ قُلُوبَ العَامّة فَيُسَارِعُون في وقتها لحضُورِها، لا تستطيعُ أشغالُهُم ومَلَذّاتُهم أن تَصرِفَهُم عنها، وكان يَتَحمَّسُ بها النّاسُ ويخشعونَ.

2- أنّه كان يبدأ دُرُوسَهُ في هُدُوء وتمهّلٍ في القولِ فَيَظُنُّ مَن لا يعرِفُهُ أنّ به عَجزًا ثمّ يَتَحمَّسُ فَيَفيضُ في دَرسه، ويتفَجّرُ منه القولُ تَفَجُّرًا، فَينَهمِرُ انهمَار المُزنِ الغَزِير وتُدوّي جنبَاتُ المسجِدِ بصَوته القَويّ، ويَسمَعُهُ النّاسُ مِن خَارج المسجِدِ أيضًا.

3- أنّهُ بعد أن يُسهِبَ في موضُوعه يَختِمُهُ بخُلاصةٍ فيها كُلُّ معانيه، فيقُوم السّامعون وَهُم على ذِكرٍ لِمَا مَرَّ عليهم في الدّرسِ الطّويل.

4- يُفيدُ الشّيخ أحمد حمّاني – وهو مُتجوّل البصائر- مرحلتئذٍ- بجانبٍ منهجيّ جليل لما حضرَ درسًا من دروس الشّيخ مُبارك في ميلة، وهو أنّ الأستاذَ رحمه الله كان يُلقي دَرسَهُ بفصاحةٍ وبَيَانٍ، على طريقة السَّلَف الصَّالح، وأعلام الإسلام، فَيجمَعُ في دَرسِهِ بين الوعظ والإرشاد، والتّمحيص العِلميّ، يجمعُ الأقوالَ ثُمَّ يُعَقِّبُ عَلَيهَا تَرجِيحًا، وَتَضعِيفًا وانتِقَادًا...

الثامنة: تُفيدُ هذه الدّراسةُ بالدور الإصلاحي لتلك الدروس الذي يكاد يجتمعُ في النقاط الآتية:

1- كان الشّيخ مبارك يَدعُو للإصلاح والتّمسُّك بحبل الله ويذكّرُ ويُرشدُ، ويحرّضُ على نفض غُبَار الجهل والكَسَل والخُمُول، وكان يعتني بالتطبيق على المجتمع.

2- أنّها دروسٌ لها أثرها البالغ في الفرد والمجتمع والنّفوس، وأنّ الشّيخ كان يُعنى كلّ الاعتناء بتقوية الإيمان في القُلُوب وتطهيرها مِن أَدرَان الشّرك والرّياء وفساد الاعتقاد.

3- تصحيح العقائد، وتقويم العوائد، وتوثيق الحبل المنفصم، وتقويم الفهم، وصناعة الوعي، وشحذ الهمم، وتحريض النّفوس.

4- الشّرحُ والتّعريفُ بأمراض المجتَمَع، وبيان آفاتها وويلاتها على أصحابها.

5- تقويضُ الإلحاد الذي تَبُثُّهُ المدارسُ الاستعماريّةُ والأحزابُ السّياسيةُ المنحرفةُ.

6- أُفُولُ كثير من البِدَع التي أُلصِقَت بالدّين، فَقَتَلَتِ المسلِمِينَ، بعد مهاجمتها ومهاجمةِ ضَلالات الطُّرقيّين الضّالّين (كزردات) القبور، وحفلَات مواليد المشايخ الطُّرقيّين.

7- بيانُ فساد اعتقاد العامّة في الشّيخ وطريقته ممّا يُنَافي الدّين، وكذا ما ينافي الدّين من المفاسد الخُلُقيّة.

8– انتشارُ الوعي بحقوق المسلمين في المساجد وممارسة عباداتهم المشروعة، وأنّ ذلك حقٌّ لا يمكنُ أن تسلبَهُ الإدارة الفرنسيّة.

9– وعيُ المسلمين بأنّهم ما وقعوا فيمَا وَقَعُوا فيه من الانحطَاطِ الشَّاملِ إلاّ بَعدَ أن خَرِبَت وُجدَاناتهم من عدم استشعَارِ الخَوفِ من العَاقبة دَائمًا وَعَلَى كُلّ حالٍ.

10– شيوعُ الثّقافة وحُبّ العَربيّة والدّين في الأغواطيّين وفي غيرهم.

ثانيًا: التوصيات: وتتميما للفائدة، وإثراءً للفكرة البحثية يوصي الباحثُ بما يلي:

الأولى: مواصلة الاشتغال بأعمال أعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين العلمية والإصلاحية، خاصة المغمورة منها، ومحاولة استجلاء ما يميّزها مضمونًا وأسلوبًا.

الثانية: تحديد طرق النّظر والتحليل في تراث جمعية العلماء واستنطاق النّصوص الشّاهدة على مكاناتهم العلميّة والتّوصيفيّة لأحوالهم ونشاطاتهم قصد التّوصّل إلى معرفة ما كان مجهولا عنهم لدى الأجيال الحاضرة أو تأكيد بعض المعلومات عنهم، أو دفع الشّبهات والتّشكيكات حول مواقفهم وآرائهم.

الثالثة: مواصلة البحث في معطيات دَرسِ الشّيخ مبارك الميليّ ومتعلّقاته في الجامع الأخضر بقسنطينة، فلعلّ نصوصا وأخبارًا أخرى تقوّي بعض الاحتمالات، وتجلّي بعض الحقائق حوله.

وصلّى الله على نبيّنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين

فهرس المصادر والمراجع

1– آثار الإمام مُحَمَّد البشير الإبراهيميّ، لأحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1 (1997 م).

2– الأستاذ الميلي والرّأي العام، بقلم حمزة بوكوشة، مقال منشور في جريدة البصائر(1/ 223)، (عدد 28)، السنة الثانية من السلسلة الثانية، (يوم الاثنين 11 جمادى الأولى عام 1367 هـ الموافق ليوم 22 مارس 1948م).

3– أطوار من حياة الشيخ مبارك، بقلم عبد الحفيظ الجنان، مقال منشور في جريدة البصائر(1/ 219)، (عدد 27)، السنة الثانية من السلسلة الثانية، (يوم الاثنين 04 جمادى الأولى عام 1367 هـ الموافق ليوم 15 مارس 1948م).

4– أعلام الإصلاح في الجزائر، لمحمد علي دبوز، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1(2013م).

5– أعلام الفكر الجزائريّ من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة للأستاذ مُحَمَّد بسكر، دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة، الجزائر، ط2 (2015).

6– أمين مال جمعية علماء المسلمين في عزابة، لمكاتب الجريدة– لم يذكر اسمه – مقال منشور في جريدة النّجاح، عدد 1337، (02 ربيع الثاني 1351 / 05 أوت 1932)، السنة الثالثة.

7– بين محبّي العلم ومحبّي الجهل، بقلم الطّاهر بن يوسف [زغاية]، مقال منشور في جريدة البصائر، 1/ 150)، (عدد 18) السنة الأولى، (يوم الجمعة 16 صفر 1355 الموافق ليوم 08 ماي 1936).

8– تاريخ الجزائر الثقافيّ، الدكتور أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط1 (1998م).

9– جريدة البصائر (لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط1 (1426 هـ/ 2005 م).

10– جريدة النجاح، (جريدة يومية إخبارية) لمديرها المسؤول عبد الحفيظ بن الهاشمي، وصاحب امتيازها رئيس التحرير مامي إسماعيل، تصدر في قسنطينة (أكثر أعدادها متوفرة في مركز الأرشيف بقسنطينة).

11– حديث المتجول (ميلة)، أحمد حماني، منشور في البصائر، 3/ 148)، (عدد 107) السنة الثالثة، (يوم الجمعة 07 محرم 1357 الموافق ليوم 08 أفريل 1938).

12– الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر (بحثٌ في التاريخ الدّينيّ الاجتماعيّ من 1925 إلى 1940)، لعليّ مرّاد، ترجمة مُحَمَّد يحياتن، دار الحكمة- الجزائر، (2007)(طبعة خاصة لوزارة المجاهدين).

13– حياة رجل الإرادة مبارك الميلي (1898- 1945م)، بقلم أحمد بوزيد قصيبة، مقال منشور في جريدة البصائر(1/ 206)، (عدد 26) عدد خاصّ، السنة الثانية من السلسلة الثانية، (يوم الاثنين 26 ربيع الثاني 1367 هـ الموافق ليوم 08 مارس 1948م).

14– دروس الشيخ مبارك بن مُحَمَّد الميلي في التفسير في رحلاته إلى المدن الجزائرية – توثيقًا وتوصيفًا وتحليلا –، للدكتور مراد خنيش، مقال منشور في مجلة الشهاب، التي تصدر عن معهد العلوم الإسلامية بجامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي، الجزائر(المجلد: 08، العدد: 01، (شعبان 1443 هـ/ مارس 2022م)).

15– شباب المؤتمر الإسلامي الجزائريّ - شعبة ميلة-، بقلم عضو (لم يُسمّ)، منشور في جريدة البصائر، 3/ 126)، (عدد 104) السنة الثالثة، (يوم الجمعة 16 محرم 1357 الموافق ليوم 18 مارس 1938).

16– الشّيخ مبارك الميليّ (جهود متميّزة في الحركة الإصلاحيّة الوطنيّة)، للأستاذ علي ابن الطاهر.

17– الشّيخ مبارك الميليّ حياته العلميّة ونضاله الوطنيّ، تأليف مُحَمَّد الميلي، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط1 (2001).

18– الشّيخ مبارك الميليّ في ذكرى وفاته الثانية والثلاثين، بقلم الأستاذ أحمد بن ذياب، مقال منشور بمجلّة الثّقافة (مجلة تصدرها وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر)، السنة السابعة، العدد 37، (صفر- ربيع أوّل 1397 هـ/ فبراير – مارس 1977م).

19– الشيخ مبارك الميلي وأثره العلمي في الأغواط، مقال للدكتور التواتي بن تواتي بموقع الشيخ ابن باديس الإلكتروني: **https://binbadis.net/archives/2149**

20– صراع بين السنّة والبدعة، لأحمد حماني، دار البعث، قسنطينة، ط1 (1984م).

21– ليلة بميلة، بقلم مُحَمَّد العابد الجلالي، منشور في جريدة الصراط السّوي، السنة الأولى، عدد 9، ص 08 (يوم الاثنين 25 رجب 1352/ 15 نوفمبر 1933).

22– مبارك الميليّ، لمحمد البشير الإبراهيميّ، مقال منشور في جريدة البصائر(1/ 205)، (عدد 26) عدد خاصّ، السنة الثانية من السلسلة الثانية، (يوم الاثنين 26 ربيع الثاني 1367 هـ الموافق ليوم 08 مارس 1948م).

23– مظاهر العبقرية في الشيخ مبارك، بقلم الصادق حماني، مقال منشور في جريدة البصائر(1/ 214)، (عدد 27)، السنة الثانية من السلسلة الثانية، (يوم الاثنين 04 جمادى الأولى عام 1367 هـ الموافق ليوم 15 مارس 1948م).

24– معجم أعلام الجزائر، لعادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط2 (1400 هـ/ 1980م).

25– معنى (الغفارة) في لسان القبائل الصّنهاجيّة) لأبي يعلى الزواوي، مقال منشور في جريدة البصائر(1/ 355)، (عدد 44)، السنة الأولى، (يوم الجمعة 05 رمضان 1355 الموافق ليوم 20 نفامبر 1936).

26– من علماء الجزائر الحبيبة: الشيخ مبارك الميلي (1898 – 1945) الحلقة الثانية والأخيرة **الأربعاء 26 سبتمبر 2018)، مقال منشور على الموقع الإلكترونيّ ليومية الشعب:**

http://www.ech-chaab.com/ar (الأربعاء 26 سبتمبر 2018)

27– الميليّ كمعلّم ومدرّس، بقلم أحمد الغواليّ، منشور في جريدة البصائر(1/ 220)، (عدد 27)، السنة الثانية من السلسلة الثانية، (يوم الاثنين 04 جمادى الأولى عام 1367 هـ الموافق ليوم 15 مارس سنة 1948م).

28– نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، لمحمد علي دبوز، عالم المعرفة للنشر والتوزيع – الجزائر، ط1 (2013م).

29– وفد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في جيجل، بقلم (مكاتب جريدة النجاح مقيدش)، مقال منشور في جريدة النّجاح، عدد 1358، السنة الثالثة عشر، (الجمعة 21 جمادى الأولى 1351 / 23 سبتمبر 1932).

فهرس الموضوعات

مقدمة:.....5– 7

المبحثُ الأوّلُ: تعريفٌ مُوجَزٌ بالشَّيخُ مُبَارك بن محمد الميليّ واستجلاءُ مكانته في العلم بالتّفسير: 8

المطلبُ الأوّل: تعريفٌ موجزٌ بالشيخ مُبَارك بن مُحَمَّد الميليّ: 8

أوّلاً: اسمهُ ولقبهُ: 8

ثانيًا: ولادته: 9

ثالثًا: نشأته العلمية ورحلته إلى ميلة ثمّ قسنطينة: 9

رابعًا: عودتُه إلى قسنطينة ثمّ انتقالُهُ إلى الأغواط: 10

خامسًا: أشهر شيوخه: 12

سادسًا: أشهر تلاميذه: 12

سابعًا: مؤلّفاتُهُ: 12

ثامنًا: وفاته: 13

المطلب الثاني: استجلاء مكانته في العلم بالتّفسير: 14

التّعليق على تلك الأقوال والشّهادات: 16

المبحثُ الثّاني: الدُّرُوسِ التفسيرية الدّائمة للشَّيخِ مُبَارك بن محمد الميليّ في مدينتي الأغواط وميلة ودورها الإصلاحيّ:.....18

المطلب الأول: درسُهُ في التّفسير في مدينة الأغواط ودورهُ الإصلاحيّ: 18

المطلب الثاني: درسُهُ في التّفسير في مدينة ميلة ودورهُ الإصلاحيّ: 22

المطلب الثالث: درسُهُ في التّفسير في الجامع الأخضر بمدينة قسنطينة: 26

الخاتمة.....29– 31

فهرس المصادر والمراجع.....32– 34

فهرس الموضوعات.....35